مشكل القرآن في تفسير الإمام الرازي

" دراسة وصفية تحليلية "

The problem of the Qur'an in the interpretation of Imam Al-Razi "Descriptive analytical study"

إعداد

د/ محمد عبد الوهاب الراسخ

قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بطنطا - جامعة الأزهر الشريف

مشكل القرآن في تفسير الإمام الرازي " دراسة وصفية تحليلية "

محمد عبد الوهاب الراسخ

قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بطنطا – جامعة الأزهر الشريف – مصر.

البريد الالكتروني : elrasekh_mohamed@yahoo.com

الملخص :

يسلط هذا البحث الضوء علي (مشكل القرآن في تفسير الإمام الرازي) حيث إن هذه القضية نالت حيزا كبيراً من تفسيره الماتع (مفاتيح الغيب) ويهدف البحث إلى تحرير مصطلح المشكل عند الإمام الرازي ، وبيان الصنع التي استعملها للتعبير عنه ، إضافة إلى التعرف علي أنواع المشكل ، وبيان أسباب حصوله ، وذلك في ضوء مواضعه الواردة في تفسير الإمام الرازي ، كما يسلط البحث الضوء علي الأدوات التي استخدمها الإمام الرازي لحل مشكلات القرآن .

هذا وقد تبين من خلال البحث مدي العناية الواضحة التي أولادها الإمام الرازي لقضية مشكل القرآن ، وذلك من خلال طرحه للعديد والعديد من الإشكالات والأسئلة المحيرة وقيامه بالجواب عنها ، إضافة إلى تعامله مع كافة أنواع المشكل ، واستخدامه للعديد من الأدوات في دفعه وإبطاله ، وأظهر البحث اتساع مفهوم المشكل عند الإمام الرازي حيث إنه يتناول كل ما يلتبس علي المتأمل لفظه أو معناه لذاته أو لأمر خارج عنه ولا ينال المراد منه إلا بتأمل بعد الطلب ، كما اتضح من خلال البحث تعدد أنواع المشكل عند الإمام الرازي تبعا لعدة اعتبارات غير أن أوسعها ما كان باعتبار الموضوع ، حيث إنه يتناول صورا عديدة منها : موهم التعارض ، والمشكل المتعلق بأسلوب القرآن ، والمشكل اللغوي ، وما كان إشكاله راجعاً إلى خفاء المعني أو توهم فساده والمشكل المتعلق بالتشابه اللفظي وغيرها.

وفي ضوء مواضع الإشكال الواردة في تفسير الإمام الرازي لوحظ تعدد

الأسباب التي أدت إلى حصول الحيرة والالتباس ، ولعل أبرز هذه الأسباب يرجع إلى توهم التعارض بين الآيات مع بعضها أو مع غيرها ، كما أن هناك أسباباً أخري ومنها عدم إدارك حكم التكرار وأسراره ، وتوهم تفكك النظم وعدم انسجام جمله ، وعدم إدارك الوجه الإعرابي الذي يمكن حمل الآية عليه ، إضافة إلى غرابة اللفظ ، وخفاء الحكمة من استخدام بعض الأساليب اللغوية ، كما أظهر البحث تنوع الأدوات التي استخدمها الإمام الرازي في حل الإشكال ويأتي في مقدمتها الجمع بين ما يوهم ظاهره التعارض ، إضافة إلى اعتماده علي اللغة والسياق وغيرها من الأدوات .

وبالتتبع لأسلوب الإمام الرازي في عرض الإشكال ودفعه وجدنا أنه يتبع طريقة واضحة ومحددة يورد فيها الإشكال بشكل سهل ومرتب ترتيبا منطقيا ، حيث إنه بعد عرض الآية محل الإشكال نجده ينص علي وجود الإشكال مستعملا صيغا صريحة وأحيانا غير صريحة ، ثم يقرر وجه الإشكال ، ثم يقوم بدفعه معتمدا علي وجه واحد أو أكثر .

وفي ضوء تعامل الإمام الرازي مع الإشكال وجدنا منه اهتماما واضحاً بدفعه وإبطاله من كل وجه ، وقد شهد لذلك عدة أمور منها : تعدد أوجه الحل وتنوعها ، إضافة إلى سرد أوجه الإشكال والعود عليها بالحل وجها وجها ، وتكميل بعض أوجه الحل وتدعيمها بذكر الشاهد والمثال.

الكلمات المفتاحية : مشكل ، القرآن ، تفسير ، الإمام الرازي ، دراسة وصفية تحليلية .

The problem of the Qur'an in the interpretation of Imam Al-Razi "Descriptive analytical study"

Muhammad Abdel Wahab Al-Rasekh
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion in Tanta - Al-Azhar University - Egypt.
Email: elrasekh_mohamed@yahoo.com

Abstract:

This research sheds light on (the problem of the Qur'an in the interpretation of Imam al-Razi), as this issue covered a large part of his brilliant interpretation (Mafatih al-Ghayb). The research aims to liberate the term "problem" according to Imam al-Razi, and explain the method he used to express it, in addition to identifying it. Types of the problem, and an explanation of the reasons for its occurrence, in light of its locations mentioned in the interpretation of Imam Al-Razi. The research also sheds light on the tools that Imam Al-Razi used to solve the problems of the Qur'an.

The research showed the extent of the clear care that Imam Al-Razi paid to the issue of the problem of the Qur'an, through his posing of many, many confusing problems and questions and his answering to them, in addition to his dealing with all types of the problem, and his use of many tools to repel and invalidate it, and the research showed the breadth of the problem. The concept of the problem according to Imam al-Razi, as it deals with everything whose wording or meaning is ambiguous to the meditator for its own sake or for something outside of him, and the intended meaning of it is not attained except by contemplation after the request. As it became clear through the research, there are many types of problem according to Imam al-Razi according to several considerations, but the broadest of them is what was considered The topic, as it deals with many forms, including: the illusion of contradiction, the problem related to the style of the Qur'an, the linguistic problem, and what its problem is due to the concealment of the meaning or the illusion of its corruption, the problem related to verbal similarity, and

others.
In light of the problematic areas mentioned in the interpretation of Imam Al-Razi, it was noted that there are multiple reasons that led to confusion and confusion. Perhaps the most prominent of these reasons is due to the illusion of a contradiction between the verses with each other or with others. There are also other reasons, including a lack of understanding of the rule of repetition and its secrets, and the illusion of disintegration of systems. The lack of harmony in his sentences, and the lack of understanding of the grammatical aspect on which the verse can be interpreted, in addition to the strangeness of the pronunciation, and the hidden wisdom of using some linguistic methods. The research also showed the diversity of tools that Imam Al-Razi used in solving the problem, the first of which is combining what appears to appear to be in conflict, in addition to To its reliance on language, context, and other tools.
By following the method of Imam Al-Razi in presenting the problem and eliminating it, we found that he follows a clear and specific method in which he presents the problem in an easy and logical manner, as after presenting the verse in question, we find him stating the existence of the problem, using explicit and sometimes non-explicit formulas, then he determines the face of the problem, then he refutes it. Based on one or more aspects.
In light of Imam Al-Razi's dealing with the problem, we found from him a clear interest in repelling and nullifying it in every aspect, and several things testified to this, including: the multiplicity and diversity of aspects of the solution, in addition to listing the aspects of the problem and returning to them with a solution face by face, and complementing some aspects of the solution and supporting them by mentioning evidence and examples.

Keywords: Problem, The Qur'an, Interpretation, Imam Al-Razi, Descriptive And Analytical Study.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد النبي الأمي الهادي الأمين ، وعلي آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم وسار علي نهجهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد

فالقرآن الكريم معجزة نبينا – ﷺ – الخالدة ، وقد أنزله الحق تبارك وتعالي بلسان عربي مبين ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور ، وقد أمرنا الحق – سبحانه وتعالي – بتدبر آياته فقال جل شأنه :﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]

إلا أنه – ونظراً لاختلاف مدارك الناس وأفهامهم – يجد القارئ لكتاب الله – أحياناً – بعض الآيات التي تشكل عليه ويتحير في فهمها ، وقد وقع ذلك لبعض الصحابة – رضوان الله عليهم – ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : لما نزلت : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢]

شق ذلك علي المسلمين ، فقالوا : يارسول الله أينا لا يظلم نفسه ؟ قال: (ليس ذلك ، إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾[لقمان: ١٣] [(١)]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب التفسير . باب قول الله تعالي ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ ﴾ إلي قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ ﴾ ، (١٢٦٢/٣) ح (٣٢٤٦). تحقيق د/ مصطفي البغا . ط دار ابن كثير – دمشق ط الخامسة ، ١٩٩٣م

هذا وقد اتخذ البعض قضية المشكل ذريعة للطعن في كتاب الله عز وجل والادعاء بأن آياته تحمل في طياتها مشكلات ومتناقضات ، ومن هنا هب علماء الإسلام للدفاع عن القرآن الكريم ، وأفردوا العديد من المصنفات التي تهتم بدفع الإشكالات عن آي الكتاب الكريم ، ومن ذلك كتاب / تأويل مشكل القرآن للإمام ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) وكتاب / أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل للإمام محمد بن أبي بكر الرازي (توفي بعد ٦٦٦هـ) وكتاب / فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ) وكتاب / دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب للشيخ محمد أمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) .

هذا وقد كان اهتمام المفسرين بهذه المسألة كبيراً جداً ، فلا يكاد يخلو تفسير من بيان مواضع الإشكال وذكر أوجه حلها ، ومن أبرز المفسرين الذين عنوا بهذا الجانب الإمام فخر الدين الرازي صاحب التفسير الكبير مفاتيح الغيب .

فالناظر في تفسيره يدرك مدي عنايته بهذه القضية ، وتعامله معها وفق منهج مؤسس علي القواعد العلمية المعتبرة ، ومن هنا اخترت أن أسلط الضوء علي هذا الجانب من تفسيره وعنونت له بـ (مشكل القرآن في تفسير الإمام الرازي. دارسة وصفية تحليلية)

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

لا شك أن دراسة قضية المشكل والتعرف علي أوجه دفعه في تفسير مهم كتفسير الإمام الرازي ،هذه الدراسة لها أثر كبير في تثبيت قلب المؤمن ودفع أي نوع من الريب أو الشك في القرآن ، إضافة إلى ذلك فهي تساعد علي تدبر آيات القرآن الكريم حيث إن ورود الإشكال يحجب العقل عن فهم معاني الآيات، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] ، وتتجلي أسباب اختياري لهذا الموضوع في عدة نقاط :

١- إبراز مدي الاهتمام الذي أولاه الإمام الرازي لهذه القضية ، لا سيما وقد نالت حيزاً كبيراً من تفسيره الماتع مفاتيح الغيب .

٢- تحرير مصطلح المشكل عند الإمام الرازي وبيان الصيغ التي استعملها للتعبير عنه .
٣- التعرف علي أنواع المشكل وبيان أسباب حصوله ، وذلك في ضوء مواضعه الواردة في تفسير الإمام الرازي .
٤- تسليط الضوء علي الأدوات التي استخدمها الإمام الرازي لحل مشكلات القرآن .
٥- الكشف عن أبرز سمات أسلوب الإمام الرازي في التعامل مع قضية المشكل في القرآن الكريم .

حدود هذه الدراسة :

تدور هذه الدراسة حول مشكلات القرآن الواردة في تفسير الإمام الرازي ، وكيفية تعامله معها ، وعلي ذلك فالبحث خاص بمشكل الآيات ولا يدخل فيه مشكل الأقوال والتفسيرات الواردة عن أهل العلم ، فهذه دراسة أخري ليس محلها هذا البحث .

مشكلة البحث : يجيب هذا البحث عن التساؤلات الآتية :

١- ما المقصود بمصلح المشكل ؟وما مفهومه عند الإمام الرازي ؟ وما الصيغ التي استعملها للتعبير عنه ؟
٢- ما أنواع المشكل الواردة في تفسير الإمام الرازي؟
٣- ما أسباب حصول الإشكال في ضوء مواضعه الواردة في تفسير الإمام الرازي ؟
٤- ما الأدوات التي استعملها الإمام الرازي في دفع الإشكالات وحلها ؟
٥- ما أبرز سمات أسلوب الإمام الرازي في التعامل مع قضية المشكل ؟

منهج البحث :

اعتمدت في هذا البحث علي المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي ، حيث قمت بتتبع مواضع الآيات المشكلة في تفسير الإمام الرازي ، ثم قمت بدراستها وتحليلها ووصفت من خلالها كل ما يتعلق بقضية المشكل عند الإمام الرازي .

محتويات البحث :

وقع هذا البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة :

المقدمة : وقد تضمنت التعريف بالموضوع، وأسباب اختياره، وحدود هذا البحث، ومشكلته ، ومنهجه، ومحتوياته .

التمهيد : وقد تضمن ترجمة مختصرة للإمام الرازي وتفسيره .

المبحث الأول : تعريف مشكل القرآن وبيان مفهومه وصيغه عند الإمام الرازي ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : تعريف المشكل في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : مفهوم المشكل وصيغه عند الإمام الرازي .

المبحث الثاني : أنواع المشكل عند الإمام الرازي وأسبابه . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أنواع المشكل

المطلب الثاني : أسباب حصول الإشكال في ضوء مواضعه الواردة في تفسير الإمام الرازي .

المبحث الثالث : أدوات الإمام الرازي في دفع الإشكال وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الجمع بين ما يوهم ظاهره التعارض .

المطلب الثاني : الاعتماد علي اللغة.

المطلب الثالث : الاعتماد علي السياق .

المطلب الرابع : أدوات متنوعة .

المبحث الرابع : سمات أسلوب الإمام الرازي في التعامل مع المشكل .

الخاتمة : وقد تضمنت أهم النتائج وثبتا بالمراجع والفهارس .

وبعد

فما كان في هذا البحث من جهد وتوفيق فمن الله وحده ، وما كان من قصور فمن نفسي ومن الشيطان ، وأستغفر الله العظيم منه وأسأله سبحانه وتعالي أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وصلي الله علي سيدنا محمد النبي الأمي وعلي آله وصحبه أجمعين

التمهيد

ويتضمن ترجمة مختصرة للإمام الرازي وتفسيره :

أولاً : التعريف بالإمام الرازي : وفيه أربع نقاط :

النقطة الأولي : اسمه ونسبه ومولده :

هو الإمام العلامة سلطان المتكلمين في زمانه ، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي ، القرشي التيمي البكري الطبر ستاني [١] الأصل الرازي المولد ، الملقب فخر الدين ، المكني بأبي عبد الله ، المعروف بابن الخطيب ، الفقيه الشافعي ، المفسر المتكلم ، إمام وقته في العلوم العقلية ، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية ، صاحب المصنفات المشهورة ، والفضائل الغزيرة المذكورة ، وأحد المبعوثين علي رأس المائة السادسة لتجديد الدين .

ولد في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة للهجرة ، وقيل سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة بالري [٢]

النقطة الثانية : نشأته ومكانته العلمية :

نشأ الإمام الرازي في بيت علم ودين ، فقد تفقه علي يد والده الإمام ضياء الدين عمر بن الحسين أحد العلماء الكبار، كان خطيب الري وعالمها ، وتلقي عليه علم الكلام وعلم الأصول حتي برع وأجاد فيهما ، وتنقل في سبيل

---

(١) الطبرستاني : نسبة إلى (طبرستان) وتعني (بلاد الجبل) ثم سميت بعد الاجتياح المغولى (مازَنْدَران) وهي بلدة واسعة ، يغلب عليها الطابع الجبلي ، خرج منها عدد لا يحصى من العلماء . انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/١٣-١٦) ط دار صادر بيروت . ط الثانية ١٩٩٥م .

(٢) الري : مدينة مشهورة من أكبر المدن ، وقد خرج منها الكثير من العلماء في مختلف الفنون ، وهي حالياً من ضواحي طهران بإيران تبعد عنها ستة كيلو مترات .انظر معجم البلدان (٣/١١٦-١٢٢) .

العلم ونشره إلى خوارزم ، ثم رحل إلى بلاد ما وراء النهر لينتهي به المطاف إلى هراة [1] وكان يلقب فيها بشيخ الإسلام .

وكان – رحمه الله – شديد الحرص جدا في العلوم الشرعية والحكمة ، اجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله لغيره من أمثاله، وهي سعة العبارة في القدرة علي الكلام وصحة الذهن والاطلاع الذي ما عليه مزيد والحافظة المستوعبة والذاكرة التي تعينه علي ما يريده في تقرير الأدلة والبراهين ، وكان فيه قوة جدلية ونظره دقيق، وكان عارفا بالأدب له شعر بالعربي ليس في الطبقة العليا ولا السفلي وشعر بالفارسي لعله يكون فيه مجيدا .

وكان له في الوعظ اليد البيضاء ويعظ باللسانين العربي والعجمي ، وكان يلحقه الوجد في حال الوعظ ويكثر البكاء . وكان – رحمه الله – إذا ركب يمشي حوله نحو ثلاثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم وقيل : إنه كان يحفظ " الشامل " لإمام الحرمين في الكلام ، وقيل إنه ندم علي دخوله في علم الكلام.

النقطة الثالثة : مؤلفاته :

برع الإمام فخر الدين الرازي في التصنيف حتي بلغ من شغفه بالتأليف أن صنف في كل علم تعلمه كتاباً أو أكثر ،وقد رزقه الله السعادة العظمي في تصانيفه وانتشرت في الآفاق ، وأقبل الناس علي الاشتغال بها ، ومن أشهر مصنفاته :

(التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب) و (المحصول في علم أصول الفقه) وله في علم الكلام (المطالب العالية) و (تأسيس التقديس) وله في الفقه : (شرح الوجيز لحجة الإسلام الغزالي) ولم يتمه. وله في النحو (شرح المفصل للزمخشري) ولم يتمه .

---

(١) هراة : مدينة عظيمة مشهورة ، من كبريات مدن خراسان ، تعرف بكثرة العلماء والفضلاء وهي تقع حالياً في أفغانستان علي حدودها مع إيران .انظر معجم البلدان (٥/٣٩٦-٣٩٧) .

ومن مصنفاته أيضاً : (إعجاز القرآن) و (مناقب الإمام الشافعي) و " شرح أسماء الله الحسني" وغيرها .

النقطة الرابعة : وفاته :

كانت وفاته بهراة في يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة . (١)

ثانياً : التعريف بتفسير الإمام الرازي :

يعتبر تفسير الإمام الرازي المسمي بـ (مفاتيح الغيب) أو (التفسير الكبير) من أشهر كتب التفسير بالرأي المحمود ، وهو تفسير يحظي بين دارسي القرآن بالشهرة الواسعة نظرا لما يشتمل عليه من أبحاث فياضة تضم أنواعاً شتي من مسائل العلوم المختلفة حتي قيل عنه إنه : جمع كل غريب وغريبة .

والناظر في هذا التفسير الكبير يجد أمورا هامة تلفت النظر وتشد الانتباه منها :

- الاهتمام بذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض ، وبين السور بعضها مع بعض.
- كما أن الإمام الرازي يكثر في تفسيره من الاستطراد إلى العلوم الرياضية والطبيعية ،وغيرها من العلوم الحادثة في الملة ، علي ما كانت عليه في

(١) راجع ترجمة الإمام الرازي في : طبقات الشافعية الكبري لتقي الدين السبكي (٨/٨١-٨٢) ط دار هجر . ط الثانية ١٤١٣هـ. وطبقات المفسرين للسيوطي (ص١١٥- ١١٦) ط مكتبة وهبة – القاهرة ط الأولي ١٣٩٦ هـ ، وطبقات المفسرين للداوودي (ص٤٤٤ – ٤٤٥) ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط الأولي ، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٤/٢٤٨ – ٢٥٢) ط دار صادر – بيروت، والوافي بالوفيات للصفدي (٤/١٧٥-١٨٢) ط دار إحياء التراث بيروت، والمسائل الأصولية المتعلقة بمباحث الألفاظ التي اختلف فيها الإمامان الرازي في (المحصول) والآمدي في (الإحكام) جمعا ودراسة. رسالة ماجستير للدكتورة / عبير أحمد فاضل ، جامعة القري . كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م .

عهده ، كالهيئة الفلكية وغيرها، كما أنه يعرض كثيراً لأقوال الفلاسفة بالرد والتفنيد ، وإن كان يصوغ أدلته في مباحث الإلهيات علي نمط استدلالاته العقلية ، ولكن بما يتفق ومذهب أهل السنة.

- ثم إن الإمام الرازي – كسني – يري ما يراه أهل السنة ، ويعتقد بكل ما يقررونه من مسائل علم الكلام – لا يدع فرصة تمر دون أن يعرض لمذهب المعتزلة بذكر أقوالهم والرد عليهم رداً لا يراه البعض كافياً .
- والناظر في تفسير الإمام الرازي يجد أنه لا يكاد يمر بآية من آيات الأحكام إلا ويذكر مذاهب الفقهاء فيها ، مع ترويجه لمذهب الشافعي – الذي يُقلدُه – بالأدلة والبراهين .
- كذلك نجده يستطرد لذكر المسائل الأصولية ، والمسائل النحوية ، والبلاغية ، وإن كان لا يتوسع في ذلك توسعه في مسائل العلوم الكونية والرياضية .

ولا شك أن الإمام الرازي كان يهتم في تفسيره بذكر أسباب النزول والقراءات والمسائل اللغوية وغيرها من الأمور اللازمة لفهم آيات القرآن الكريم .

وبالجملة فتفسير الإمام الرازي أشبه ما يكون بموسوعة كبيرة في علوم الكون والطبيعة والعلوم التي تتصل اتصالا من قريب أو بعيد بعلم التفسير والعلوم الخادمة له والمترتبة عليه استنباطا وفهما [1].

(١) التفسير والمفسرون للشيخ الذهبي (١/٢٠٨-٢١٠) ط مكتبة وهبة القاهرة، ومناهج المفسرين للدكتور / منيع عبد الحليم محمود (ص١٤٨-١٤٩) ط دار الكتاب المصري – القاهرة .

المبحث الأول

تعريف مشكل القرآن وبيان مفهومه وصيغه عند الإمام الرازي

وفيه مطلبان :

- **المطلب الأول** : تعريف المشكل في اللغة والاصطلاح .
- **المطلب الثاني** : مفهوم المشكل وصيغه عند الإمام الرازي .

المطلب الأول

تعريف المشكل في اللغة والاصطلاح

أ- تعريف المشكل في اللغة :

المشكل اسم فاعل من أشكل ، وبالرجوع إلى معاجم اللغة نجد أن لفظ المشكل يدور حول ثلاثة معان :

الأول : الشبه والمثل :

يقول ابن فارس [١] : (الشين والكاف وَاللاَّمُ مُعْظَمُ بَابِهِ الْمُمَاثَلَةُ تَقُولُ : هَذَا شَكل هَذَا، أَيْ مِثْلُهُ وَمِنْ ذَلِكَ يُقَالُ أَمْرُ مُشْكِلُ، كَمَا يُقَالُ أَمْرُ مُشْتَبِهُ) [٢]. ويقول الزبيدي [٣] (والمُشْكِلُ : كَمُحْسِنٍ : الدَّاخِلُ فِي أَشْكَالِهِ، أَي أَمْثالِهِ ، وأَشْبَاهِهِ) [٤]

(١) ابن فارس : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، إمام في اللغة والتفسير ، توفي سنة (٣٩٥هـ) انظر : إنباه الرواة علي أنباء النحاة للقفطي (١٢٧/١-١٣٠) ط دار الفكر العربي – القاهرة . ط الأولي ١٤٠٦ هـ .

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٠٤/٣) ط دار الفكر ١٩٧٩م.

(٣) الزبيدي : محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، الزبيدي أبو الفيض ، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب . توفي سنة (١٢٠٥هـ) انظر : معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢٨٢/١١) ط مكتبة المثني – بيروت ١٤٣١هـ.

(٤) تاج العروس للزبيدي (٢٧٦/٢٩) ط وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت .

ويقول ابن منظور [١]: (الشكل بالفتح : الشبه والمثل والجمع أشكال وشكول) [٢]

الثاني : الاختلاط : يقول ابن الأنباري [٣] : (وقولهم قد أشكل عَلَيَّ، معناه : قد اختلط بغيره ، والأشكل عند العرب : اللونان المختلطان) [٤]

الثالث : اللَّبْس : قال ابن منظور : (وأشكل الأمر : التبس ، وأمور أَشْكَال : ملتبسة، وبينهم أَشْكَلَة أي : لبس) [٥].

وبنظرة متأنية لهذه المعاني الثلاثة يظهر لنا أن العلاقة بينها قائمة وقوية ، فالمشكل ما سمي مشكلاً إلا لأنه دخل في شكل غيره فأشبهه ، ومن شأن المتشابهين عجز الإنسان عن التمييز بينهما ، فيحدث له الاختلاط والالتباس ، وعلي ذلك فإطلاق المشكل علي المماثل والمشابه باعتبار الأصل ، وإطلاقه علي المختلط والملتبس من باب إطلاق السبب علي المسبب .

ب . تعريف المشكل في الاصطلاح:

بالرجوع إلى ما كتبه المتقدمون في التفسير وعلوم القرآن نلحظ أنهم لم يتطرقوا لتعريف المشكل (إلا أن مقتضى صنيعهم يدل على أن مصطلح المشكل عام يشمل كل إشكال يطرأ على الآية سواء كان:

---

(١) ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن منظور الإفريقي المصري، جمال الدين ، أبو الفضل ، من أشهر اللغويين علي الإطلاق ، توفي سنة (٧١١هـ) انظر أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي (٢٦٩/٥ –٢٧٠) ط دار الفكر المعاصر بيروت ١٩٩٨م .

(٢) لسان العرب لابن منظور (٣٥٦/١١) ط دار صادر – بيروت .

(٣) ابن الأنباري : أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري النحوي، صاحب التصانيف في النحو والأدب توفي سنة (٣٢٨هـ) انظر : وفيات الأعيان (٣٤١/٤).

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري (١٥١/٢)ط مؤسسة الرسالة – بيروت ط الأولي ١٩٩٢م .

(٥) لسان العرب (٣٥٧/١١) .

- **من جهة اللفظ** : حيث نجد عددا من المفسرين يستعمل مصطلح المشكل لبيان غرابة اللفظ ، ومن هؤلاء الإمام مكي بن أبي طالب حيث سمى كتابه « تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم » ويظهر من اسم الكتاب أن الغريب نوع من المشكل عنده .

- **أو كان من جهة المعنى** : فإن المفسرين يكثرون من استعمال مصطلح المشكل فيما خفي معناه، ومنهم على سبيل المثال:

١- الإمام ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) : حيث إن كثيراً **من مواطن الكتاب هي في بيان ما أشكل من المعاني**

٢ - **الإمام ابن كثير: حيث يقول في** تفسيره: وقد (أشكل قوله تعالي: ﴿ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٩] على كثير من المفسرين فقال بعضهم :هذا من المقدم والمؤخر) [١]

٣. الإمام الآلوسي: حيث نقل عن بعضهم في قوله تعالي : ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩ ﴾ [المائدة: ٧٩].

(إن الآية مشكلة لما فيها من ذم القوم بعدم النهي عما وقع مع أن النهي لا يتصور فيه أصلا وإنما يكون عن الشيء قبل وقوعه، فلابد من تأويلها بأن المراد النهي عن العود إليه) [٢]

- **أو كان من جهة توهم التعارض** : فهو وارد كذلك في كتبهم، ومن ذلك على سبيل المثال:

(١) تفسير ابن كثير (٩٦٥/٢) ط دار الفكر ط الأولي ، ١٤٢٠هـ .

(٢) تفسير الآلوسي (٣٧٦/٣) ط دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولي ، ١٤١٥هـ .

١- عقد الإمام ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن بابا أسماه (باب التناقض والاختلاف) وقد ذكر فيه بعض ما يظن فيه تناقض واختلاف وأجاب عنه [١]

٢- يقول الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالي ﴿ * تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] (هذه آية مشكلة والأحاديث ثابته بأن النبيﷺ قال (لا تخيروا بين الأنبياء[٢]) [٣]

٣- يقول الإمام السيوطي في الإتقان : (النوع الثامن والأربعون في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض)[٤] (وظاهر صنيعه أن المشكل مغاير لموهم الاختلاف والتناقض لكن هذا الظاهر غير مراد منه قطعا، بل المراد أن موهم الاختلاف والتناقض هو المشكل بعينه، يدل على ذلك ما سطره في كتابه معترك الأقران فإنه قال (الوجه السابع من وجوه إعجازه ورود مشكله حتى يوهم التعارض بين الأيات[٥])) [٦]

. أو كان من جهة الإعراب: فقد أطلق كثير من المفسرين لفظ المشكل على ما التبس إعرابه، ومن ذلك ما ذكره الإمام العز بن عبد السلام في كتابه فوائد في مشكل القرآن حيث قال:(قوله عز وجل : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص١١٦) ط مكتبة دار التراث .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الخصومات . باب ما يذكر في الأشخاص والملازمة (٨٥٠/٢) ح (٢٢٨١).

(٣) تفسير القرطبي (٢٢٢/٢) ط دار الحديث – القاهرة ، ٢٠٠٢ م .

(٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٨٨/٣) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤م

(٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (٧٣/١) ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٨٨م

(٦) الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم " عرض ودراسة " ت د/ أحمد القصير (ص٢٥) ط دار ابن الجوزي ١٤٣٠ هـ .

﴿ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى ﴾ [هود: ٣٥] مشكل لأن المشركين قالوا افترى القرآن فهذا يقتضي أن يكون افتريته ماضيا على بابه لكن أئمة العربية أجمعوا على أن الشرط لا يكون إلا مستقبلاً، فإن كان المراد المضي أخل بالشرط وإن كان الاستقبال أخل بالجواب إذ لا يكون مطابقاً، والجواب..) [١]

ومن مجموع ما سبق يتبين أن علماء التفسير وعلوم القرآن يطلقون المشكل ويعنون به الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض فيما بينها، أو الآيات التي يوهم ظاهرها معارضة حديث نبوي، أو الآيات التي في معناها خفاء وغموض لا يدرك إلا بدليل آخر. [٢]

وفي ضوء ذلك تعددت تعريفات الباحثين المعاصرين لمشكل القرآن الكريم، أذكر من ذلك:

١. عرفه الدكتور عبد الله بن حمد المنصور في كتابه (مشكل القرآن الكريم) بأنه:(الآيات القرآنية التي التبس معناها واشتبه على كثير من المفسرين فلم يعرف المراد منها إلا بالطلب والتأمل) [٣]
٢. عرفه الدكتور أحمد القصير في كتابه (الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم عرض ودراسة) بقوله: (مشكل القرآن هو الآيات القرآنية التي يوهم ظاهرها معارضة نص آخر من آية قرآنية أو حديث نبوي ثابت أو يوهم ظاهرها معارضة معتبر من إجماع أو قياس أو قاعدة شرعية كلية ثابتة أو أصل لغوي أو حقيقة علمية أو حس أو معقول) [٤]

---

(١) فوائد في مشكل القرآن للعز بن عبد السلام (١٣٨-١٣٩) ط دار الشروق – جدة ط الثانية ١٤٠٢ هـ.

(٢) الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم (ص٢٥)

(٣) مشكل القرآن الكريم ت د/ عبد الله بن حمد المنصور (ص٧٧) ط دار ابن الجوزي ط الأولي ١٤٢٦هـ.

(٤) الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم ص٢٥-٢٦ .

٣. عرفه الدكتور علي السكاكر بأنه:(كل ما يطرأ علي أحد العلماء المعتبرين في القرآن الكريم من خفاء واشتباه في المراد بأي سبب من الأسباب بحيث لا يظهر المراد منه إلا بعد التفكر والتأمل) [١]

٤ ـ عرفه الدكتور عبد العزيز الحربي بأنه:(ما التبس علي المتأمل لفظه أو معناه ، لذاته أو أمر خارج عنه) [٢]

وبالنظر في هذه التعاريف يظهر لنا تقاربها في المعنى إلا أن التعريف الأخير للدكتور عبد العزيز الحربي هو الأقرب من وجهة نظري، حيث إنه جمع المقصود في أقصر عبارة، فقد بين حقيقة الإشكال بأنه الالتباس، وبذلك ربط المعنى اللغوي بالاصطلاحي، ثم كشف عن موضوعه وهو اللفظ والمعنى، ثم بين أسبابه في قوله لذاته أو أمر خارج عنه، أي أن سبب الإشكال إما أن يكون راجعاً لأمور تتعلق بذات الكلمة، وذلك يشمل غرابة اللفظ وخفاء المعنى، أو يكون راجعاً لأمر خارج عنها بمعنى أن يكون النص واضح المعنى لولا معارضة نص آخر، وبذلك يكون التعريف قد أتى على المطلوب، وإن كان لي من إضافة بسيطة فيمكن أن نزيد عبارة ولا ينال المراد منه إلا بتأمل بعد الطلب وهي مأخوذة من تعريف الإمام الجرجاني للمشكل [٣] وبذلك يكون التعريف الاصطلاحي في شكله النهائي على النحو الآتي:

المقصود بمشكل القرآن ما التبس على المتأمل لفظه أو معناه لذاته أو لأمر خارج عنه، ولا ينال المراد منه إلا بتأمل بعد الطلب.

---

(١) مشكل القرآن الكريم في تفسير بن عاشور ت د/ علي السكاكر (ص٨٤) ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ٢٠١٦م .

(٢) توجيه مشكل القراءات العشرية ت د / عبد العزيز الحربي ص٨٩ جامعة أم القري ١٤١٧هـ .

(٣) التعريفات للجرجاني ص٢١٥ ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط الأولي ، ١٩٨٣م .

المطلب الثاني

مفهوم المشكل وصيغه عند الإمام الرازي

أ . مفهوم المشكل عند الإمام الرازي:

يمكننا أن نحدد مفهوم المشكل وضابطه عند الإمام الرازي في ضوء المواضع التي استخدم فيها هذا المصطلح، وباستقراء تلك المواضع يظهر لنا أن الإمام الرازي يسير في ركب جمهور المفسرين في نظرتهم للمشكل، فمصطلح المشكل عنده واسع:

– فتارة يستعمله عند ورود ما يوهم ظاهره التعارض، ومن ذلك قوله عند تفسير قوله تعالي: ﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١٠٩] (ظاهر قوله تعالي : ﴿ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ يدل على أن الأنبياء لا يشهدون لأممهم والجمع بين هذا وبين قوله تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] مشكل) [(١)]

– وتارة يستعمله مع ما خفي معناه، ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢] (ظاهر الآية يقتضي أنه تعالى طلب من إبليس ما منعه من ترك السجود، وليس الأمر كذلك فإن المقصود طلب ما منعه من السجود، ولهذا الإشكال حصل في الآية قولان.....) [(٢)]

– كذلك نجده يستعمل مصطلح المشكل مع ما خفي وجه إعرابه، ومن ذلك ما ورد عنه في تفسير قوله تعالى﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ

(١) تفسير الرازي (٤٥٦/١٢) ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ط الثالثة ١٤٢٠هـ .
(٢) المرجع السابق (٢٠٧/١٤).

﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٢ - ٣].

حيث قال: (في هذه الآية سؤال، وهو أن قوله ﴿ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ يصلح أن يكون نعتًا للنكرة ولا يصلح أن يكون نعتًا للمعرفة، تقول مررت برجل شديد البطش ولا تقول مررت بعبد الله شديد البطش، وقوله (الله) اسم علم فيكون معرفه فكيف يجوز وصفه بكونه شديد العقاب مع أنه لا يصلح إلا أن يجعل وصفاً للنكرة، قالوا: وهذا بخلاف قولنا: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾ لأنه ليس المراد منهما حدوث هذين الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوبة الآن أو غداً، وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش، وأما شديد العقاب فمشكل لأنه في تقدير شديد عقابه فيكون نكرة فلا يصح جعله صفة للمعرفة) [(١)]

– كما نراه يستعمل مصطلح المشكل مع القراءات التي يلتبس على البعض توجيهها ، ومن ذلك تعقيبه على قراءة الأعمش: (ولا يغوثاً ويعوقاً) بالصرف، حيث قال (وهذه قراءة مشكلة لأنهما إن كانا عربيين أو عجميين ففيهما سببا منع الصرف، إما التعريف ووزن الفعل، وإما التعريف والعجمة) [(٢)]

تأمل وتحليل:

بالنظر في هذه المواضع التي استخدم فيها الإمام الرازي مصطلح الإشكال نجد أن هناك عاملاً مشتركاً يربط بينها، وهي أنها جميعها تحمل نوعا من الغموض الذي يحتاج للبيان، وهذا يكشف لنا عن تصور الإمام الرازي لفكرة الإشكال، وأنه يتعلق بما يصعب ويحير في فهمه، وقد وقعت على نص للإمام الرازي يؤكد على هذه الحقيقة التي توصلت إليها، حيث يقول

(١) تفسير الرازي (٤٨٤/٢٧) .

(٢) المرجع السابق (٦٥٨/٣٠).

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٧] (ثم لما كان من شأن المتشابهين عجز الإنسان عن التمييز بينهما سمي كل ما لا يهتدي الإنسان إليه بالمتشابه، إطلاقًا لاسم السبب على المسبب، ونظيره المشكل سمي بذلك لأنه أشكل أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشابهه، ثم يقال لكل ما غمض وإن لم يكن غموضه من هذه الجهة مشكل) [١]

وهذا النص وإن كان منقولاً عن الإمام ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن[٢] إلا أن إيراد الإمام الرازي له يؤكد على توافقه مع الإمام ابن قتيبة في تصوره لمصطلح المشكل.

ومن هنا يمكننا أن نقول: إن المشكل عند الإمام الرازي مدلوله واسع، فهو يتناول كل ما يلتبس على الناظر فهمه، سواء كان من جهة اللفظ أو المعنى، وسواء كان الإشكال بسبب أمر يتعلق بذات اللفظ أو بسبب توهم معارضته لنص آخر.

وعلى ذلك يكون مفهوم المشكل عند الإمام الرازي هو عين ما ذكرناه في التعريف الاصطلاحي وهو : **ما التبس على المتأمل لفظه أو معناه لذاته أو لأمر خارج عنه ولا ينال المراد منه إلا بتأمل بعد الطلب.**

ب . الصيغ التي استعملها الإمام الرازي في بيان المشكل:

تنوعت عبارات الإمام الرازي في بيان المشكل، ويمكن تصنيفها على النحو الآتي:

أولا: صيغ صريحة :

وهي التي أورد فيها الإمام الرازي لفظ المشكل أو إحدى مشتقاته، ويندرج تحتها ما يلي:

(١) تفسير الرازي (١٣٨/٧) .

(٢) تأويل مشكل القرآن (١٤٥).

١- **التصريح بلفظ الإشكال في سياقات متنوعة** : ومن ذلك:

قوله: « وفيه إشكال» عند تفسير قوله تعالى: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ ﴾ [إبراهيم: ١٦]. (١) .

وقوله:«ومنشأ الإشكال» عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ ﴾[البقرة: ٣١] (٢) .

وقوله: «فوجه الإشكال» عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ ﴾ [البقرة: ٢٥١] (٣).

وقوله: « يتوجه الإشكال» عند تفسير قوله تعالى:﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] (٤).

وقوله: «تقرير الإشكال »عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ ﴾ [الأنعام: ٩١] (٥).

وقوله: «ولهذا الإشكال» عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ ﴾ [الأعراف: ١٢] (٦) .

. وقوله: «أجاب عن هذا الإشكال» عند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١١٣] (٧).

---

(١) تفسير الرازي (٧٩/١٩) .
(٢) المرجع السابق (٦٣/٤)
(٣) المرجع السابق (٥١٨/٦)
(٤) المرجع السابق (٣٥٥/٨)
(٥) تفسير الرازي (٦٠/١٣)
(٦) تفسير الرازي مرجع السابق (٢٠٧/١٤)
(٧) تفسير الرازي (١٥٨/١٦)

ـ وقوله: «وفي الآية إشكال» عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] (١).

٢- **التصريح بلفظة (مشكل)** : ومن ذلك:

- قوله: **(فهو مشكل)** عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ٢] (٢)

- وقوله: «هذا مشكل» عند تفسير قوله تعالى:﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النور: ١١] (٣).

٣- **التعبير بقوله (وفيه إشكالات)** : وقد ورد ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٥٧] (٤)

٤- **التعبير بقوله (والآية مشكلة)** : وقد ورد ذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٧] (٥).

٥- **التعبير بقوله (وهذه قراءة مشكلة)** : وقد ورد ذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح: ٢٣] (٦)

(١) تفسير الرازي (٣٠/٧).
(٢)تفسير الرازي (٥٩/١٩)
(٣)المرجع السابق (٣٣٨/٢٣)
(٤)المرجع السابق (٢٣٩/٨)
(٥)المرجع السابق (٥٤/١٠)
(٦) المرجع السابق (٦٥٨/٣٠)

ثانيا: صيغ غير صريحة:

وهي التي لم يصرح فيها الإمام الرازي بلفظ الإشكال أو إحدى مشتقاته، وإنما استعمل عبارات أخرى تدل بمعناها والقرائن التي تحفها على وجود إشكال في فهم الآية، ويندرج تحت هذه الصيغ ما يلي:

١- **التعبير عن الإشكال بلفظ السؤال ومشتقاته** : وذلك بأن يقول في تفسير موضع معين: "وفيه سؤال أو سؤالان أو أسئلة أو سؤالات" فالغالب على الإمام الرازي في تفسيره أن يطرح الإشكال معبراً عنه بالسؤال.

فإن قيل :لكن السؤال أو التساؤل لا يعني بالضرورة وجود إشكال .

نقول: نعم، ولكن باستقراء غالبية الأسئلة التي طرحها الإمام الرازي في تفسيره يمكننا أن نستنتج أن معظمها ينطوي على إشكالات ، كما أنه مما يدل على قصد الإمام الرازي التعبير عن الإشكال بالسؤال أنه في بعض المواضع التي يفتتحها بصيغة (وفيه سؤال أو سؤالان أو أسئلة) نجده يصرح أثناء كلامه بكون ذلك إشكالاً، ومن ذلك ما ورد عنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦ ﴾ [الأعراف: ٥٥ – ٥٦] حيث قال: (وفيه سؤالات :السؤال الأول: قال في أول الآية﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ ثم قال﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ ﴾ ثم قال﴿ وَٱدۡعُوهُ ﴾ وهذا يقتضي عطف الشيء على نفسه وهو باطل. والجواب أن الذين قالوا في تفسير قوله ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا ﴾ أي اعبدوه إنما قالوا ذلك خوفاً من هذا الإشكال) [1] فقول الإمام الرازي: (إنما قالوا ذلك خوفاً من هذا الإشكال) يدل على أنه إنما قصد بالسؤال الإشكال.

(١) تفسير الرازي (٢٨٤/١٤).

كذلك في بعض المواضع التي تفتتح بلفظة السؤال نجد أن الإمام الرازي بعد عرض السؤال والجواب عنه يعقب بقوله (وحينئذ يزول الإشكال) الأمر الذي يدل على أنه قصد التعبير عن الإشكال بالسؤال، ومن ذلك ما ورد عنه عند تفسير قوله تعالى:﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ [طه: ٦٥ – ٦٦].

حيث قال: (فيه سؤالان: السؤال الأول: كيف يجوز أن يقول موسى عليه السلام بل ألقوا فيأمرهم بما هو سحر وكفر، لأنهم إذا قصدوا بذلك تكذيب موسى عليه السلام كان كفراً) [١] وقد أجاب عن هذا السؤال بعدة أجوبة، وفي النهاية قال: (وحينئذ يزول الإشكال) [٢] فدل ذلك على أن المقصود بالسؤال الإشكال.

هذا ويمكن القول بأن الضابط الذي به يعرف كون المقصود بالسؤال الإشكال:

- أن يصرح الإمام في أثناء طرح السؤال بكونه مشكلا، وذلك كالأمثلة التي مر ذكرها.
- أو أن ينطوي السؤال على ألفاظ توحي بوجود صعوبة في فهم الآية وتفسير معناها.
- أو أن يظهر السؤال توهما في تعارض الآية مع غيرها.
- أو يتضمن التساؤل تعجباً بسبب خفاء الحكمة من استعمال بعض الألفاظ القرآنية.
- إلى غير ذلك من الأمور التي تدل على حصول إشكال غير أن الإمام الرازي طرحه في هيئة سؤال.

---

(١) المرجع السابق (٢٢/٧٢).

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

وعليه وبالنظر فيما سبق يمكن القول بأن من الصيغ الأكثر استعمالاً للتعبير عن الإشكال عند الإمام الرازي صيغة السؤال ومشتقاته، ومن ذلك ما ورد عنه في تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾ [الأنعام: ٩٣].

حيث قال:(في الآية سؤال وهو أنه لا قدرة لهم على إخراج أرواحهم من أجسادهم فما الفائدة في هذا الكلام؟)[١] ثم شرع في الإجابة عنه.

٢- **التعبير بصيغة الاستفهام الدالة على وجود إشكال:**

ففي بعض المواضع يستعمل الإمام الرازي أساليب استفهامية توحي بوجود التباس في فهم الآية، ويدخل في ذلك الصيغ الآتية:

أ . قوله: (ما الفائدة..... ؟) وقد ورد ذلك في عدة مواضع، منها ما جاء عند تفسير قوله تعالى:﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم: ٢٦] حيث يقول الإمام الرازي: (المسألة الثالثة: ما الفائدة في قوله تعالى ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ ﴾ بمعنى كثير من الملائكة مع أن كل من في السماوات منهم لا يملك الشفاعة) [٢]

ب ـ قوله: (كيف تعلق..... ؟) ومن أمثلته ما ورد عند تفسير قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨].

يقول الإمام الرازي: (البحث الأول: كيف تعلق﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ بما سبق وهو قوله﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [التحريم: ٧]) [٣]

(١) تفسير الرازي (٦٨/١٣)

(٢) تفسير الرازي (٢٥٥/٢٨)

(٣) تفسير الرازي (٥٧٤/٣٠)

ج ـ قوله: (فما معنى ذكر.....؟) وقد ورد ذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا ﴾ [الإسراء: ١] حيث يقول الإمام الرازي: (الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل؟) [١]

د ـ قوله: (كيف يجوز... ؟) وقد ورد ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۖ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ﴾ [القصص: ١٨].

يقول الإمام الرازي (واحتج به من قدح في عصمة الأنبياء عليهم السلام، فقال كيف يجوز لموسى عليه السلام أن يقول لرجل من شيعته يستصرخه إنك لغوي مبين؟)[٢]

هـ ـ قوله: (لم قال.... ؟) ومن أمثلته ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴾ [النســـاء: ١١٨] يقول الإمام الرازي: (إذا ثبت هذا فنقول: لم قال – يقصد إبليس– ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا ﴾ مع أن لفظ النصيب لا يتناول القسم الأكثر وإنما يتناول الأقل ؟) [٣]

بالنظر في الصيغ السابقة نجد أنها وإن لم تكن صريحة في الدلالة على الإشكال إلا أن مفهومها ومضمونها يدل دلالة قاطعة على وجود حيرة والتباس في فهم الآية، كما يدل على وجود غموض بالنسبة للناظر في موضع معين من الآية، وهذا لا معنى له سوى تحقق الإشكال المستلزم لدفعه وإزالته، وهذا ما قام به الإمام الرازي حيث إنه بعد طرحه لهذه الأسئلة قام بالجواب عنها كل في موضعه.

(١) المرجع السابق (٢٩٢/٢٠)
(٢) تفسير الرازي (٥٨٧/٢٤)
(٣) المرجع السابق (٢٢٢/١١)

٣- التعبير بقوله (فإن قيل قلنا):

وهذه الصيغة وإن لم تكن صريحة في بيان المشكل إلا أنه بتتبع مواضعها في تفسير الإمام الرازي نلاحظ أنه إنما يوردها في المواضع التي تمثل حيرة والتباساً، ومن ذلك مثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ ﴾ [الأعراف: ٦] يقول الإمام الرازي: (فإن قيل : فما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بأنه لم يصدر عنهم تقصير البتة ؟ قلنا: .....) [(١)]

٤- التعبير بقوله (لقائل أن يقول):

وهذه الصيغة يستعملها الإمام الرازي كثيراً للدلالة على الإشكال ، وقد يقول قائل : وكيف عرفت أن هذه الصيغة تستعمل في بيان المشكل ؟ أقول : لأنه باستقراء المواضع التي وردت فيها نلحظ أن الإمام الرازي إنما يستعملها في سياق طرح تساؤلات افتراضية تنبئ عن وجود غموض في فهم بعض الأمور المتعلقة بالآية، ومن ذلك مثلاً :عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ ﴾ [النساء: ١٠]

يقول الإمام الرازي: (لقائل أن يقول: الأكل لا يكون إلا في البطن، فما فائدة قوله ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ ﴾ وجوابه .....) [(٢)]

هذا ومما يدل على أن الإمام الرازي إنما يأتي بهذه الصيغة مريدا بها الإشكال أنه في بعض المواضع التي ترد فيها هذه الصيغة نراه يصرح بأن هذا إشكال، ومن ذلك مثلاً: عند تفسير قوله تعالى:﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾ [آل عمران: ٩٢] يقول الإمام الرازي: (وها هنا بحث :

(١) تفسير الرازي (٢٠٠/١٤)

(٢) تفسير الرازي (٥٠٦/٩-٥٠٧) .

وهو أن لقائل أن يقول: كلمة ﴿ حَتَّىٰ ﴾ لانتهاء الغاية، فقوله: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴾ يقتضي أن من أنفق مما أحب فقد نال البر، ومن نال البر دخل تحت الآيات الدالة على عظم الثواب للأبرار فهذا يقتضي أن من أنفق ما أحب وصل إلى الثواب العظيم وإن لم يأت بسائر الطاعات، وهو باطل ، وجواب هذا الإشكال.....) . [١] فقوله: (وجواب هذا الإشكال) يدل على على أن ما أورده تحت صيغة (لقائل أن يقول) هو من قبيل المشكل.

٥- **التعبير بما يدل على وجود توهم ما في فهم الآية:**

ومن ذلك: عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ﴾ [البقرة: ١٩٦] يقول الإمام الرازي: (قوله ﴿ كَامِلَةٞۗ ﴾ يوهم وجود عشرة غير كاملة في كونها عشرة، وذلك محال) [٢]

(١) المرجع السابق (٢٨٨/٨).

(٢) تفسير الرازي (٣١٠/٥) .

المبحث الثاني
أنواع المشكل عند الإمام الرازي وأسبابه
المطلب الأول
أنواع المشكل

تتعدد أنواع المشكل عند الإمام الرازي تبعاً لعدة اعتبارات:

أولا: أنواع المشكل باعتبار الموضوع:

يتنوع المشكل تبعاً لذلك إلى ستة أنواع :

النوع الأول: موهم التعارض : ومعناه: أن يظن وجود تعارض بين الآية القرآنية وغيرها من آية أخرى، أو حديث ثابت، أو أصل لغوي، أو حقيقة علمية، ونحو ذلك. ويعتبر هذا النوع أبرز أنواع المشكل حتى إن الإمام السيوطي نص عليه في الإتقان بشكل مستقل، وأورده في عنونته للمشكل فقال:(النوع الثامن والأربعون في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض)[١]

وظاهر صنيعه أن المشكل مغاير لموهم الاختلاف والتناقض، لكن هذا الظاهر غير مراد منه قطعاً بل المراد أن موهم الاختلاف والتناقض هو المشكل بعينه، يدل على ذلك ما سطره في كتابه معترك الأقران فإنه قال (الوجه السابع من وجوه إعجازه ورود مشكله حتى يوهم التعارض بين الآيات). [٢]

هذا وقد أولى الإمام الرازي هذا النوع عناية كبيرة وسلط الضوء عليه، وذلك راجع لكونه سببًا أصيلاً في حصول الإشكال، إضافة إلى تعدد الصور المندرجة تحته، والتي يمكن عرضها على النحو الآتي:

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٨٨/٣) .

(٢) معترك الأقران (٧٣/١) .

الصورة الأولى: موهم التعارض بين الآيات

– وقد يكون ذلك في الآية الواحدة: ومن ذلك ما ورد عند تفسير قوله تعالى:﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [نوح: ٤]

حيث يقول الإمام الرازي: (السؤال الثاني: كيف قال ويؤخركم مع إخباره بامتناع تأخير الأجل [١] وهل هذا إلا تناقض؟) [٢] ثم شرع في إزالة الإشكال

–كما قد يكون توهم التعارض بين آيتين متباعدتين:

ومن ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ ﴾ [الحج: ٧٥]

يقول الإمام الرازي: (السؤال الأول كلمة﴿ مِنَ ﴾ للتبعيض، فقوله: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا ﴾ يقتضي أن تكون الرسل بعضهم لا كلهم، وقوله:﴿ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا ﴾ [فاطر: ١] يقتضي كون كلهم رسلاً فوقع التناقض، والجواب ....) [٣]

الصورة الثانية: موهم التعارض بين الآية والحديث:

وذلك كما في قوله تعالى مخاطبا نبيه. ﷺ ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ [المائدة: ٦٧]

ففيه إشكال عبر عنه الإمام الرازي بشكل ضمني من خلال طرح سؤال حول كيفية الجمع بين مفهوم الآية الذي يفيد عموم عصمة الله تعالى لنبيﷺ من الناس وبين الحديث الدال على أنهﷺ أصيب ببعض الأذى من قومه،

(١) يقصد بذلك قوله تعالي في نفس الآية : ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾

(٢) تفسير الرازي (٦٨٥/٣٠) .

(٣) تفسير الرازي (٢٥٣/٢٣) .

وهذا يوهم خلاف الآية، يقول الإمام الرازي: (في قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ سؤال: وهو أنه كيف يجمع بين ذلك وبين ما روي أنه عليه الصلاه والسلام شج وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته[1]) [2].

الصورة الثالثة: موهم التعارض بين الآية والقياس العقلي: ومن ذلك: ما ورد عند تفسير قوله تعالى﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴾ [البقـــرة: ٦٠] يقول الإمام الرازي:(السؤال الثالث: كيف يعقل خروج المياه العظيمة من الحجر الصغير؟ الجواب.....)[3]

الصورة الرابعة: موهم التعارض بين الآية وواقع الحال: وذلك كما في قولـــه تعـــالى﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٨٥] فقد ذكر الإمام الرازي أن ظاهر الآية يفيد أن القرآن نزل في شهر رمضان في حين أن الواقع يشهد بأنه نزل منجمًا في كل شهور السنة، وهنا يتوهم التعارض. يقول الإمام الرازي: (السؤال الأول: أن القرآن ما نزل على محمد عليه الصلاة والسلام دفعة وإنما نزل عليه في مدة ثلاث وعشرين سنة منجما مبعضًا،وكما نزل بعضه في رمضان نزل بعضه في سائر الشهور، فما معنى تخصيص إنزاله برمضان؟ والجواب .....) [4]

الصورة الخامسة: موهم تعارض الآية مع الأصول العقدية: وذلك كما في قوله تعالى:﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [التوبة: ١٠٢] فقد طرح الإمام الرازي إشكالاً في هيئة سؤال مفاده وجود تعارض ظاهري بين مدلول

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والبر . باب غزوة أحد (١٤١٦/٣) ح (١٧٩٠) تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي .ط دار إحياء التراث العربي ١٩٥٥ م .

(٢) تفسير الرازي (٤٠١/١٢)

(٣) المرجع السابق (٥٢٩/٣) .

(٤) تفسير الرازي (٢٥٢/٥).

كلمة ﴿ عَسَى ﴾ وما يجب اعتقاده في حق الله عز وجل، فقال: (ها هنا سؤال: وهو أن كلمة﴿ عَسَى ﴾ شك وهو في حق الله تعالى محال ، وجوابه من وجوه..) (١)

النوع الثاني : المشكل المتعلق بأسلوب القرآن:

والمقصود بأسلوب القرآن: طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه ومفرداته، وأسلوب القرآن يمتاز بعدة خصائص: أهمها جمال التعبير، ودقة التصوير، وقوة التأثير، وبراعته في تصريف القول، إضافة إلى جودة سبكه، وإحكام سرده، وإيجاز لفظه ووفاء معناه.

هذا ومع كل هذه الخصائص التي امتاز بها أسلوب القرآن الكريم إلا أنه وقعت حوله بعض الإشكالات، وقد سلط الإمام الرازي الضوء عليها عرضًا ورداً، وباستقراء مواضع تلك الإشكالات في تفسير الرازي نجد أنها متنوعة، ويندرج تحتها ما يلي:

١- **المشكل المتعلق بالتكرار:**

والمقصود بالتكرار: إعادة عرض بعض الألفاظ أو الجمل أو الآيات أو المعاني أو الموضوعات.

هذا ولم يتيسر للبعض فهم الحكمة" من هذه الظاهرة" ولم يتمكن من كشف أسرارها وفوائدها، فوقع له الإشكال والالتباس، وقد أولى الإمام الرازي هذا النوع عناية كبيرة، ويشهد لذلك تعدد مواضع وروده في تفسيره، ومن ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٩٨] يقول الإمام الرازي:(أما قوله ﴿ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ ففيه سؤالات: السؤال الأول: لما قال

(١) تفسير الرازي (١٣٣/١٦) .

﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ ﴾ فلم قال مرة أخرى ﴿ وَٱذۡكُرُوهُ ﴾ وما الفائدة في هذا التكرير؟) (١)

ومن ذلك أيضًا عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ٤٥ ﴾ [النساء: ٤٥].

يقول الإمام الرازي: (السؤال الثاني: لم لم يقل : (وكفي بالله وليا ونصيرا) وما الفائدة في تكرير قوله وكفى بالله؟) (٢)

٢- **<u>توهم عدم الفائدة من ذكر بعض الألفاظ:</u>** وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ﴾ [البقرة: ٦١] يقول الإمام الرازي (السؤال الثاني: لم قال﴿ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ﴾ وقتل الأنبياء لا يكون إلا على هذا الوجه؟) (٣)

ومن ذلك أيضاً:عند تفسير قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] يقول الإمام الرازي: (السؤال الثاني: قوله ﴿ تَدَايَنتُم ﴾ يدل على الدين فما الفائده بقوله﴿ بِدَيۡنٍۖ ﴾ ؟)(٤)

٣- **المشكل المتعلق بالترتيب:** والمقصود به حصول الالتباس بسبب عدم إدراك السر من تقديم أو تأخير بعض الألفاظ، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

(١) تفسير الرازي (٣٢٩/٥).
(٢) المرجع السابق (٩٢/١٠) .
(٣) تفسير الرازي (٥٣٤/٣) .
(٤) المرجع السابق (٩١/٧) .

يقول الإمام الرازي:(وها هنا سؤالات: السؤال الأول: أنه لا طريق لنا إلى العلم بوجود الملائكة ولا إلى العلم بصدق الكتب إلا بواسطة صدق الرسل، فإذا كان قول الرسل كالأصل في معرفة الملائكة والكتب فلم قدم الملائكة والكتب في الذكر على الرسل؟) (١)

٤- المشكل المتعلق بتوهم عدم التناسب بين الألفاظ القرآنية، وقد يكون ذلك:

- بين آيتين متجاورتين : كما في قوله تعالى:﴿ * وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ٧٥ - ٧٨]

يقول الإمام الرازي:(السؤال الثالث: العطف لا يحسن إلا مع المجانسة فأي مناسبة بين قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ وبين ما قبله؟) (٢)

- وقد يكون بين أجزاء الآية الواحدة : كما في قوله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣]

يقول الإمام الرازي: (لقائل أن يقول: لو كان التنزيل هكذا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً كان النظم

(١) تفسير الرازي (٥/٢١٤-٢١٥)

(٢) تفسير الرازي (٢٣/٢٨٩) .

مستقيماً حسناً، فكيف وقع قوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة في البين؟) [1]

ويدخل في ذلك أيضاً توهم عدم تناسب فاصلة الآية مع ما قبلها،كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ [الحج: ٦٠]

يقول الإمام الرازي: (السؤال الخامس: أي تعلق لقوله ﴿ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ بما تقدم؟)[2]

٥- <u>المشكل المتعلق بخفاء حكمة التخصيص</u>:

وذلك كما في قوله تعالى:﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]

حيث يقول الإمام الرازي: (السؤال الثاني: لم خص موسى وعيسى من بين الأنبياء بالذكر وهل يدل ذلك على أنهما أفضل من غيرهما؟) [3]

٦- **المشكل المتعلق بتوهم ضعف الحجة القرآنية:** ومن ذلك الإشكال الذي أورده الإمام الرازي حول قوله تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ ﴾ [المائدة: ١٨] .

حيث ذكر أن الحق سبحانه وتعالى رد على ادعاء اليهود بكونهم أبناء الله وأحباءه بقوله ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ ﴾ وهذا مفاده أنهم لو

(١) المرجع السابق (١٣٩/١٠).
(٢) تفسير الرازي (٢٤٥/٢٣).
(٣) تفسير الرازي (٥٢٨/٦) .

كانوا أحباب الله لما عذبهم لكنه عذبهم، وعليه فهم ليسوا أبناء الله ولا أحباءه، ولكن يشكل على ذلك أن التعذيب ليس علامة على انعدام المحبة سواء كان في الدنيا أو في الآخرة، أما في الدنيا فلأن سيدنا محمداً وأمته وقعت لهم فيها أيضاً محن ومصائب، وأما في الآخرة فلأنهم ينكرون تعذيبهم فيها، وبالتالي تكون الحجة القرآنية ضعيفة على حد زعمهم [١].

النوع الثالث من أنواع المشكل: المشكل اللغوي:

من المعلوم أن القرآن نزل بلغة العرب في ألفاظها ومعانيها وأساليبها، وقد كان من الأساليب التي استعملها العرب ما يرد في ظاهره مشكلاً لاحتوائه على مجازات وإشارات وتلويحات، فنزل القرآن بهذا الأسلوب أيضًا ليكون أبلغ في الإعجاز والتحدي، يقول صاحب كتاب (المباني لنظم المعاني): (وكان كلامهم على ضربين: أحدهما: الواضح الموجز الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره، والآخر على المجاز والكنايات والإشارات والتلويحات، وهذا الضرب هو المستحلى عندهم الغريب من ألفاظهم البديع في كلامهم، فلما قرعهم الله سبحانه فعجزهم عن المعارضة بمثل سور أو سورة منه أنزل على الضربين ليصح العجز منهم، وتتأكد الحجج ولزومها إياهم، فكأنه قال : عارضوا محمدًاﷺ في أي الضربين شئتم في الواضح أو في المشكل، ولم يقدروا عليه ولو أنزله كله واضحاً محكمًا بحيث لا يخفى على أحد سمعه منه لوجد المشركون مقالاً وقالوا ما باله لم ينزل بالضرب المستحسن عندنا والمستحلي في طباعنا؟ لأن ما وقع فيه الإشارة والكناية والتشبيه والتعريض كان أفصح وأعرب).[٢]

(١) تفسير الرازي (٣٢٩/١١).

(٢) مقدمتان في علوم القرآن ص١٧٧ من المقدمة الأولي : مقدمة كتاب المباني لنظم المعاني . ت أبي محمد حامد بن أحمد بن جعفر (ت ٤٢٥هـ) تحقيق آرثر جفري ط مكتبة الجانجي – القاهرة .

من خلال ما سبق يتضح لنا أن من أنواع المشكل ما يتعلق باللغة نحواً وصرفاً وبلاغة، والناظر في تفسير الإمام الرازي يدرك مدى اهتمامه بهذا النوع، ويشهد لذلك تعدد مواضع وروده، إضافة إلى تنوع الصور التي تعامل معها الإمام الرازي والتي يمكن عرضها على النحو الآتي:

الصورة الأولى: المشكل المتعلق بالألفاظ الغريبة:

يقول صاحب تحفة الأريب: (لغات القرآن العزيز على قسمين: قسم يكاد يشترك في معناه عامة المستعربة وخاصتهم كمدلول السماء والأرض ، وفوق وتحت ، وقسم يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية ، وهو الذي صنف أكثر الناس فيه وسموه غريب القرأن)[1] (فغريب القرآن الكريم لا يراد به المنكر أو الشاذ أو النافر من الكلام ، وإنما الغرابة في كلمات لقبائل العرب لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس ، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها وأدى ذلك إلى استشكال معنى الآية). [2]

وإذا نظرنا في تفسير الإمام الرازي سنجد فيه ما يدل على أن غرابة اللفظ كانت سببًا لوقوع الإشكال، ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ [النحل: ٤٧]

حيث قال: (عن عمر أنه قال على المنبر: ما تقولون في هذه الآية؟ فسكتوا ، فقام شيخ من هذيل فقال : هذه لغتنا التخوف : التنقص. فقال عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال : نعم قال شاعرنا، وأنشد : تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن. فقال عمر: أيها

(١) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان الأندلسي (ص٤٠) ط المكتب الإسلامي .

(٢) مشكل القرآن الكريم (ص١٨٧-١٨٨) .

الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية فيه تفسير كتابكم) [١]

فنلاحظ من خلال ما سبق أن سيدنا عمر لم يعرف معنى لفظة التخوف إذ لم يعهدها في لغة قريش، فلما سأل عنها ظهر أنها لغة أصيلة في هذيل ، فاتضح من ذلك أن معنى الآية قد يشكل على القارئ بسبب غرابة اللفظ.

الصورة الثانية: المشكل المتعلق بالإعراب:

الإعراب : هو تغير العلامة التي في آخر اللفظ بسبب تغير العوامل الداخلة عليه وما يقتضيه كل عامل ، وفائدته أنه رمز إلى معنى معين دون غيره كالفاعلية والمفعولية وغيرهما ، ولولاه لاختلطت المعاني والتبست ولم يفترق بعضها عن بعض، وهو مع هذه المزية الكبرى موجز غاية الإيجاز لا يعادله في إيجازه واختصاره شيء آخر يدل دلالته على المعنى المعين الذي يرمز له. [٢]

ولا شك أن التعامل مع النص القرآني إعراباً وبيانًا يختلف كثيراً عن كلام البشر شعره ونثره ، لأن القرآن كلام الله عز وجل الذي بلغ ذروة الفصاحة والبلاغة والقمة في الرقي والكمال ، فإذا كان هذا حال الكتاب العزيز فكذلك ينبغي أن يكون إعرابه ، فينزه القرآن عن الأعاريب البعيدة والتقادير والتراكيب القلقة. [٣]

وعلى ذلك وانطلاقاً من هذه القاعدة نجد أنه قد يحصل الإشكال في فهم معنى الآية بسبب حملها على أحد الوجوه الإعرابية ، وهذه الصورة سلط الإمام الرازي الضوء عليها في عدة مواضع، ومن ذلك في تفسير قوله تعالى:﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ

(١) تفسير الرازي (٢١٣/٢٠) .

(٢) النحو الوافي . ت / د/ عباس حسن (٧٤/١-٧٥) ط دار المعارف – القاهرة .

(٣) مشكل القرآن الكريم (ص٢٧٧) .

إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣ ﴾ [غافر: ٣] يقول الإمام الرازي: (في هذه الآية سؤال: وهو أن قوله شديد العقاب يصلح أن يكون نعتًا للنكرة ولا يصلح أن يكون نعتًا للمعرفة، تقول: مررت برجل شديد البطش ، ولا تقول مررت بعبد الله شديد البطش ، وقوله (الله) اسم علم فيكون معرفة ، فكيف يجوز وصفه بكونه شديد العقاب مع أنه لا يصلح إلا أن يجعل وصفاً للنكرة قالوا وهذا بخلاف قولنا ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾ لأنه ليس المراد منهما حدوث هذين الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوبة الآن أو غداً، وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه ، فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش ، وأما شديد العقاب فمشكل لأنه في تقدير شديد عقابه فيكون نكرة فلا يصح جعله صفة للمعرفة ، وهذا تقرير السؤال وأجيب عنه بوجوه....) [1]

الصورة الثالثة: المشكل المتعلق بالمجاز:

والمجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي . ونظراً لكون المجاز فيه نوع من الغموض الذي يحتاج إلى التدبر فقد أشكل على البعض فهم آيات قرآنية حملت ألفاظًا مجازية ، وهذا ما وقع للصحابة حيث أشكل عليهم فهم قوله تعالى:﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] والسبب في ذلك أنهم حملوا الألفاظ على حقيقتها ولم يدركوا أنها مجازية وأن المقصود بها بياض النهار وسواد الليل ، فقد روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أنزلت ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ ﴾ ولم ينزل (من الفجر) وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود ، ولا يزال

(١) تفسير الرازي (٢٧/٤٨٤).

يأكل حتى يتبين له رؤيتهما ، فأنزل الله بعد (من الفجر) فعلموا أنه إنما يعني الليل من النهار[١]

وبالنظر في مواضع المشكل في تفسير الإمام الرازي نجد أنه لفت الانتباه إلى هذه الصورة الإشكاليه في أكثر من موضع ، ومن ذلك مثلاً عند تفسير قوله تعالى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ [البقرة: ١٦] نجد أن الإمام الرازي طرح إشكالًا في هيئة سؤال فقال: (السؤال الأول: كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها؟) [٢] فمن الواضح أن الإشكال هنا سببه حمل الألفاظ على حقيقتها، وقد أجاب الإمام الرازي عن ذلك وبين أنه مجاز عقلي فقال : (الجواب : هو من الإسناد المجازي وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشتري) [٣].

الصورة الرابعة: المشكل المتعلق بالكناية:

والكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى ، كقولك فلانة بعيدة مهوي القرط كناية عن طول عنقها [٤]

وتدخل الكناية في عموم التعبير عن المراد بأسلوب غير مباشر، فهي مما يتوارى أو يختفي بساتر ويدل على المقصود بلازم له.

ومن هنا قد يقع الإشكال في فهم معنى الآية إذا كان فيها كناية عن شيء غير مصرح به فيحتاج المفسر إلى معرفة المقصود من الكناية في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب / التفسير /باب ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ ﴾ (٤/١٦٤٠) ح (٤٢٤١).

(٢) تفسير الرازي (٢/٣١١)

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٤) البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفي أمين (ص١٢٣- ١٢٤) ط مكتبة الآداب – القاهرة . ط الأولي .

الآية، [١] وقد وردت هذه الصورة الإشكالية في عدة مواضع من تفسير الإمام الرازي ،ومنها عند تفسير قوله تعالى:﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ [المسد: ١] طرح الإمام الرازي إشكالاً في هيئة سؤال مفاده حصول التباس في فهم الآية بسبب عدم إدراك سر استعمال أسلوب الكناية فقال :(وفي الآية سؤالات : السؤال الأول لماذا كناه مع أنه كالكذب إذ لم يكن له ولد اسمه لهب ، وأيضًا فالتكنية من باب التعظيم ؟ والجواب.....) [٢]

الصورة الخامسة: المشكل المتعلق بتصريف اللفظة القرآنية:

والتصريف مأخوذ من الصرف وهو علم يبحث عن أبنية الكلمة العربية وصيغتها وبيان حروفها من أصالة أو زيادة أو حذف أو صحة أو إبدال إلى غير ذلك. [٣]

وبالنظر في مواضع المشكل في تفسير الإمام الرازي نجد أن الإشكال قد يقع بسبب توهم عدم موافقة ظاهر الآية لقواعد فن الصرف ، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء: ٢] يقول الإمام الرازي: (ها هنا سؤال: وهو أن يقال كيف جمع اليتيم على يتامى واليتيم فعيل والفعيل يجمع على فعلى كمريض ومرضى وقتيل وقتلى وجريح وجرحى)[٤].

الصورة السادسة: المشكل المتعلق بأسلوب القصر:

والقصر: تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص[٥] وقد يقع الإشكال بسبب عدم وضوح وجه الحصر، ومن ذلك ما ذكره الإمام الرازي عند تفسير قوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ

(١) مشكل القرآن الكريم ص٢٩٨

(٢) تفسير الرازي (٣٥٠/٣٢)

(٣) الصرف الكافي لأيمن عبد الغني (ص٧) ط دار ابن خلدون – الاسكندرية .

(٤) تفسير الرازي (٤٨٢/٩).

(٥) البلاغة الواضحة ص٢١٢.

تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣٥] فظاهر الآية يفيد أن عاقبة الدار تكون للمؤمنين وحدهم بدليل أسلوب الحصر المتمثل في تقديم الجار والمجرور (له) إلا أن هذا مشكل ، لأنه يفهم منه أن الكافر لا تكون له عاقبه الدار ، يقول الإمام الرازي: (قوله: ﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ ﴾ يوهم أن الكافر ليست له عاقبة الدار، وذلك مشكل.....) . [١]

الصورة السابعة: المشكل المتعلق بتعدية الأفعال بالحروف:

فقد يشكل فهم الآية بسبب تعدي الفعل بحرف غير الحرف الذي يتعدى به ، وقد وقعت هذه الصور الإشكالية في عدة مواضع من تفسير الرازي ، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥ – ٦]

يقول الإمام الرازي: (وفيه سؤالات: السؤال الأول: لم لم يقل إلا عن أزواجهم؟ الجواب.....) [٢]

النوع الرابع من أنواع المشكل : المشكل المتعلق بالمعنى : ويندرج تحته ما يلي:

أ . **المشكل المتعلق بتوهم خفاء المعنى** : حيث يعتبر خفاء المعنى من أكثر الأمور التي تسبب إشكالاً وحيرة لدى المفسرين ، وهذا النوع من المشكلات ورد كثيراً في تفسير الإمام الرازي ، ومن ذلك مثلاً : في قوله تعالى:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ ﴾ [الأنعام: ٣٨] أورد الإمام الرازي إشكالًا في هيئة سؤال حيث قال : (السؤال الخامس : قوله:﴿ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ ﴾ قال الفراء: يقال إن كل

(١) تفسير الرازي (١٥٧/١٣).

(٢) المرجع السابق (٢٦١/٢٣) .

صنف من البهائم أمة .....إذا ثبت هذا فنقول الآية دلت على أن هذه الدواب والطيور أمثالنا ، وليس فيها ما يدل على أن هذه المماثلة في أي المعاني حصلت ، ولا يمكن أن يقال المراد حصول المماثلة من كل الوجوه وإلا لكان يجب كونها أمثالًا لنا في الصورة والصفة والخلقة وذلك باطل ، فظهر أنه لا دلالة في الآية على أن تلك المماثلة حصلت في أي الأحوال والأمور فبينوا ذلك ، والجواب.....) [1]

فمن خلال هذا النص نلحظ أن معنى الآية مشكل حيث إن المقصود بالمماثلة غير واضح ، ومن هنا أبرز الإمام الرازي هذا الإشكال ، ثم شرع في الجواب عنه.

ب . **المشكل المتعلق بتوهم فساد المعنى** : ومن ذلك الإشكال الذي طرحه الإمام الرازي حول قوله تعالى﴿ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] حيث قال: (السؤال الثاني: قوله ﴿ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ ﴾ فيه إشكال ، وذلك لأنه إذا كان قد استوفى كل ما يلزمه في تمام الحج فما معنى قوله ﴿ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ ﴾ فإن هذا اللفظ إنما يقال في حق المقصر ولا يقال في حق من أتى بتمام العمل.؟ والجواب....) [2]

ج . **المشكل المتعلق بتوهم وجود تعقيد معنوي** :وذلك بوضع كلمات في غير معانيها المستعملة فيضطرب المعنى على السامع، ومن ذلك ما أورده الإمام الرازي حول قوله تعالى: ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ ﴾ [النحل: ١١٢] حيث قال : (ونقل أن ابن الراوندي قال لابن الإعرابي

(١) تفسير الرازي (٥٢٤/١٢) .

(٢) المرجع السابق (٣٤٢/٥) .

الأديب: هل يذاق اللباس، قال ابن الأعرابي : لا باس ولا لباس يا أيها النسناس. هل أنك تشك أن محمداً ما كان نبياً أما كان عربيًا؟ وكان مقصود ابن الراوندي الطعن في هذه الآية، وهو أن اللباس لا يذاق بل يلبس، فكان الواجب أن يقال فكساهم الله لباس الجوع أو يقال فأذاقهم الله طعم الجوع، وأقول : جوابه من وجوه.....) [١]

النوع الخامس من أنواع المشك : المشكل المتعلق بتوجيه القراءة القرآنية :

والتوجيه معناه: تبيين وجه قراءة ما باعتماد أحد أدلة العربية الإجمالية من نقل وقياس وإجماع واستصحاب حال ، فالتوجيه في القراءات عملية أساسها البحث والتنقيب في كلام العرب لإيجاد وجه إعرابي تسوغ به القراءة ، [٢] وعندما يصعب ذلك يحصل الإشكال ، ومن ذلك ما حصل في توجيه قراءة الجر في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ﴾ [إبراهيم: ٢] حيث قال الإمام الرازي: (فأما الذين قرأوا (الله) بالجر عطفًا على (العزيز الحميد) فهو مشكل لما بينا أن الترتيب الحسن أن يقال الله الخالق ، وأما أن يقال الخالق الله فهذا لا يحسن ، وعند هذا اختلفوا في الجواب على وجوه.....) [٣]

النوع السادس من أنواع المشكل : المشكل المتعلق بالتشابه اللفظي :

والمقصود بالمتشابه اللفظي في القرآن الكريم : الآيات التي تكررت في القرآن الكريم في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته في ألفاظ متشابهة وصور متعددة وفواصل شتى وأساليب متنوعة تقديمًا وتأخيرًا ، وذكراً وحذفاً، وتعريفاً وتنكيراً، وأفراداً وجمعاً، وإيجازًا وإطناباً ، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى ، ونحو ذلك مع اتفاق المعنى العام لغرض بلاغي

(١) تفسير الرازي (٢٧٩/٢٠).

(٢) القراءات الشاذة لعبد العلي المسئول (ص١٦٢) ، ط دار ابن القيم .

(٣) تفسير الرازي (٥٩/١٩)

أو لمعنى دقيق يراد تقريره لا يدركه إلا من آتاه الله علمًا وفهماً لأسرار كتابه ، وهي بحق كنز ثمين من كنوز إعجازه وسر من أسرار بيانه. (١)

هذا وبعض من صنف في جمع المتشابه اللفظي وتوجيهه كان يطلق على الآيات التي يصعب توجيه التشابه اللفظي فيها مشكل القرآن ، وذلك (لأن المصنف قد يبحث عن الحكمة في تشابه الآية مع الأخرى فيقوده ذلك إلى بيان وتفسير الآيات ، ثم ينتقل بعد دراسة الآية إلى بيان العلة في إدخالها في المتشابه اللفظي مع بيان وجه اختلافها عن الآية الأخرى ، وكل هذه المباحث قد توقع المصنف وتقوده إلى استشكال بعض الآيات ، وقد أشار الكرماني في خطبة كتابه إلى ذلك حيث يقول:(ولكني أفردت هذا الكتاب لبيان المتشابه فإن الأئمة رحمهم الله قد شرعوا في تصنيفه واقتصروا على ذكر الآية ونظيرها ولم يشتغلوا بذكر وجوهها وعللها والفرق بين الآية ومثلها وهو المشكل الذي لا يقوم بأعبائه إلا من وفقه الله لأدائه)(٢)) (٣).

<u>وقد ورد هذا النوع من الإشكال بكثرة في تفسير الإمام الرازي ، وذلك بمختلف صوره والتي يمكن عرضها على النحو الآتي:</u>

١- **المشكل المتعلق بتردد الفعل بين المبني للمعلوم والمبني لما لم يسم فاعله** : ومن ذلك الإشكال الذي طرحه الإمام الرازي في هيئة سؤال حول قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ [البقرة: ٥٨] حيث قال:

(١) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم . ت / صالح الشثري (ص٨) ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٣١هـ .

(٢) البرهان في متشابه القرآن الكريم للكرماني ص٦٤ دار الفضيلة .

(٣) مشكل القرآن الكريم ص٢٥٢ – ٢٥٣.

(وها هنا سؤالات: السؤال الأول: لم قال في سوره البقره: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ وقال في الأعراف: (وإذ قيل لهم)؟ الجواب.....) (١).

٢- **المشكل المتعلق بتردد اللفظ بين الجمع والإفراد** : ومن ذلك : في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ٥٨]يقول الإمام الرازي: (السؤال الرابع: لم قال في البقرة ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ ﴾ وفي الأعراف ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتِكُمْ ۚ ﴾ ؟ الجواب .....) (٢).

٣- **المشكل المتعلق بتردد اللفظ بين التعريف والتنكير** : ومن ذلك الإشكال الذي طرحه الإمام الرازي في هيئة سؤال حول السر في تعريف لفظة (نار) في البقرة في قوله تعالي:﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤]

وتنكيرها في سورة التحريم في قوله تعالي:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: ٦]

فقال: (السؤال الثاني: لم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وها هنا معرفة؟الجواب.....) (٣).

٤- **المشكل المتعلق بتردد اللفظ بين الذكر والحذف** : كما في قوله تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ [البقرة: ٥٨] حيث يطرح الإمام الرازي سؤالا مشكلاً فيقول: (لم ذكر قوله ﴿ رَغَدًا ﴾ في البقرة وحذفه في الأعراف؟ الجواب.....) (٤).

---

(١) تفسير الرازي (٣/٥٢٦) .

(٢) المرجع السابق (٣/٥٢٦) .

(٣) المرجع السابق (٢/٣٥٢) .

(٤) تفسير الرازي (٣/٥٢٦).

٥- **المشكل المتعلق بتردد اللفظ بين التقديم والتأخير** : كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ حيث يقول الإمام الرازي: (لم ذكر في البقرة:﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ وفي الأعراف قدم المؤخر..... [١]) [٢].

٦- **المشكل المتعلق بابدال كلمة بأخرى** : كما في قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: ٥٩]

حيث تساءل الإمام الرازي حول السر في التعبير بلفظة ﴿ فَأَنزَلْنَا ﴾ في البقرة وبلفظة (فأرسلنا) في الأعراف فقال: (لم قال في البقرة ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا ﴾ وقال في الاعراف فأرسلنا؟ الجواب....) [٣]

ثانيًا: أنواع المشكل باعتبار الصراحة وغيرها:

يتنوع المشكل تبعًا لذلك إلى نوعين:

الأول: مشكل صريح: وهو الذي صرح فيه الإمام الرازي بلفظ المشكل أو إحدى مشتقاته ، وقد مر ذكره مع أمثلته في المطلب الخاص بصيغ المشكل عند الإمام الرازي.

الثاني: مشكل غير صريح : وله صورتان:

<u>الأولى</u>: استخدام صيغ غير صريحة في الدلالة على المشكل ، وقد مر ذكرها في مطلب الصيغ .

---

(١) يقصد قوله تعالي ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾

(٢) تفسير الرازي (٥٢٦/٣).

(٣) المرجع السابق ()٥٢٧/٣).

الثانية: الإشكال الضمني : وهو الذي لم يأت على الصورة المعروفة في عرض الإشكالات باستخدام صيغ صريحة أو غير صريحة ، ولكنه يلمح من خلال العرض وسياق الكلام ، ومن أمثلته: ما ذكره الإمام الرازي حول قراءة الجر للفظة(والأرحامِ)في قوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ ﴾ [النساء: ١] حيث قال : (قرأ حمزة وحده (والأرحامِ) بجر الميم، وقد ذهب الأكثرون من النحويين إلى أنها فاسدة قالوا: لأن هذا يقتضي عطف المظهر على المضمر المجرور وذلك غير جائز)[١] ثم ذكر الإمام الرازي الوجوه التي احتجوا بها في رد القراءة وبعد ذلك بدأ في الرد عليها، فقال: (واعلم أن هذه الوجوه ليست وجوها قوية في دفع الروايات الواردة في اللغات ، وذلك لأن حمزة أحد القراء السبعة ، والظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه بل رواها عن رسول الله ﷺ ، وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة ، والقياس يتضاءل عند السماع لا سيما بمثل هذه الأقيسة التي هي أوهن من بيت العنكبوت ، وأيضًا فلهذه القراءة وجهان: أحدهما : أنها على تقدير تكرير الجار كأنه قيل: تساءلون به وبالأرحام، وثانيها: أنه ورد ذلك في الشعر، وأنشد سيبويه في ذلك:

فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب.....)[٢]

هذا ومن خلال العرض السابق يظهر لنا أن الإمام الرازي طرح القضية في إطار مناقشة لمذهب النحاة الذين ينكرون القراءة بدعوى مخالفتها لقواعد النحو ، وقد بين الإمام الرازي حجتهم ثم رد عليها وفندها بشكل مفصل ، وإذا كان الإمام الرازي لم يعرض المسألة في هيئة إشكال إلا أنها في الحقيقة صورة واضحة للالتباس والتحير في توجيه القراءة المشهورة ، والسبب توهم عدم اتفاق الآية مع قواعد النحو، وعليه فهذا إشكال ضمني.

(١) تفسير الرازي (٩/٤٧٩).

(٢) المرجع السابق (٩/٤٨٠) .

ثالثاً: أنواع المشكل بإعتبار الإجابه عنه وعدمها :

يتنوع المشكل تبعاً لذلك إلى نوعين:

الأول: إشكال مجاب عنه : وأمثلته كثيرة ، ومن ذلك : في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] طرح الإمام الرازي إشكالًا في هيئة سؤال ، فقال: (وفي الآية سؤالات: السؤال الأول: أنه تعالى ذكر القسمين أولا فقال ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ فقدم البياض على السواد في اللفظ ، ثم لما شرع في حكم هذين القسمين قدم حكم السواد وكان حق الترتيب أن يقدم حكم البياض) [١] ثم أجاب عن هذا الإشكال فقال : (والجواب عنه من وجوه أَحَدُهَا :أَنَّ الْوَاوَ لِلْجَمْعِ الْمُطْلَقِ لَا لِلتَّرْتِيبِ وَثَانِيهَا :أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْخَلْقِ إِيصَالُ الرَّحْمَةِ لَا إِيصَالُ الْعَذَابِ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ تَعَالَى ابْتَدَأَ بِذِكْرِ أَهْلِ الثَّوَابِ وَهُمْ أَهْلُ الْبَيَاضِ، لِأَنَّ تَقْدِيمَ الْأَشْرَفِ عَلَى الْأَخَسِّ فِي الذِّكْرِ أَحْسَنُ، ثُمَّ خَتَمَ بِذِكْرِهِمْ أَيْضًا تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ إِرَادَةَ الرَّحْمَةِ أَكْثَرُ مِنْ إِرَادَةِ الْغَضَبِ .

وَثَالِثُهَا :أَنَّ الْفُصَحَاءَ وَالشُّعَرَاءَ قَالُوا :يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَطْلَعُ الْكَلَامِ وَمَقْطَعُهُ شَيْئًا يُسِرُّ الطَّبْعَ وَيَشْرَحُ الصَّدْرَ وَلَا شَكَّ أَنَّ ذِكْرَ رَحْمَةِ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَكُونُ كَذَلِكَ فَلَا جَرَمَ وَقَعَ الِابْتِدَاءُ بِذِكْرِ أَهْلِ الثَّوَابِ وَالِاخْتِتَامِ بِذِكْرِهِمْ) [٢]

الثاني: إشكال متروك بلا جواب: كما في قوله تعالى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤]

فقد طرح الإمام الرازي إشكالًا حوله وترك الجواب عنه ، فقال: (ثم لقائل أن يقول : قول ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ كلام تام إلا أن

(١)تفسير الرازي (٣١٩/٨).

(٢)المرجع السابق نفس الصفحة.

قوله ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ ۝٤ ﴾ متعلق بما قبله لأنها صفات ، والصفات تابعة للموصوفات فإن جاز قطع الصفة عن الموصوف وجعلها وحدها آية فلم لم يقولوا﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ آية ثم يقولوا﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ آية ثانية، وإن لم يجز ذلك فكيف جعلوا ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ آية مستقلة؟ فهذا الإشكال لابد من جوابه.....) [١] وبعد أن طرح الإشكال لم نجد له جواباً عنه .

المطلب الثاني

أسباب حصول الإشكال في ضوء مواضعه الواردة في تفسير الإمام الرازي

لا خلاف بين العلماء حول وجود المشكل في القرآن الكريم ، ومما يدل على ذلك ما حصل لبعض الصحابة- رضوان الله عليهم - مع بعض الآيات ، حيث التبس عليهم فهمها فلجأوا إلى النبي ﷺ ليحل لهم مشكلها ، ومن ذلك مثلاً: ما أخرجه الترمذي وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول اللهﷺ عن هذه الآية:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: (لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا تقبل منهم .﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦١] [٢]

وإذا كان العلماء متفقين على وجود المشكل في القرآن الكريم فينبغي أن يعلم أن آيات القرآن في حقيقتها لا يوجد فيها أي إشكال وإنما الأمر يتعلق

---

(١) تفسير الرازي (١٠١/١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه في أبواب تفسير القرآن : باب ومن سورة المؤمنون (٣٢٧/٥) ح (٣١٧٥) تحقيق إبراهيم عطوة .ط مصطفي الباب الحلبي – مصر . ط الثانية ١٣٩٥هـ.

بفهم القارئ ومدى إحاطته بالعلوم اللازمة للتدبر الصحيح لمعاني الآيات القرآنية ، وعلى ذلك فالإشكال أمر نسبي فما يشكل على البعض قد لا يشكل على الآخر، وفي ذلك يقول ابن تيمية: (نعم قد يشكل على كثير من الناس نصوص لا يفهمونها فتكون مشكلة بالنسبة إليهم لعجز فهمهم عن معانيها، ولا يجوز أن يكون في القرآن ما يخالف صريح العقل والحس إلا وفي القرآن بيان معناه ، فإن القرآن جعله الله شفاءاً لما في الصدور وبياناً للناس فلا يجوز أن يكون بخلاف ذلك)[١] .

ومن هنا يحسن بنا أن نبين الأمور التي بسببها يقع الإشكال في فهم آيات القرآن ، وذلك في ضوء مواضعه الواردة في تفسير الإمام الرازي ، ويمكنني إجمال تلك الأسباب في الأمور الآتية: **السبب الأول: توهم التعارض بين الآيات مع بعضها أو مع غيرها:** والمقصود بذلك حصول الإشكال بسبب توهم وجود تعارض بين الآية القرآنية وغيرها، وقد سلط الإمام الرازي الضوء على هذا السبب لكونه عاملاً أساسياً في حصول الإشكال ، إضافة إلى تعدد الصور المندرجة تحته حسبما بينا سابقًا عند ذكر أنواع المشكل.

هذا وقبل الخوض في تفصيل هذا السبب وذكر أمثلته يجدر بنا أن نذكر أولا تعريف التعارض ونبين شروط تحققه:

فالمقصود بالتعارض: تقابل الدليلين على سبيل الممانعة ، بمعنى أن يتقابل الدليلان على وجه يمنع كل منهما مقتضى الدليل الآخر. [٢]

وقد ذكر العلماء شروطا بها يتحقق وجود التعارض وهي على النحو الآتي:

<u>الشرط الأول:</u> أن يكون الدليلان متضادين تمام التضاد بأن يكون أحدهما يجوز والآخر يحرم، لأن الدليلين إذا اتفقا في الحكم فلا تعارض .

---

(١) مجموع الفتاوي لابن تيمية (٣٠٧/١٧)ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة . ١٤٢٥ هـ.

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (١٢٠/٨) ط دار الكتبي . ط الأولي ١٤١٤ هـ .

الشرط الثاني: أن يتساوى الدليلان في القوة فلا تعارض بين دليلين تختلف قوتهما من ناحية الدليل نفسه ، كأن يدل حديث متواتر على تحريم شيء ويدل حديث آحاد على جوازه فهنا لا تعارض بينهما حيث يقدم الدليل المتواتر، والتساوي بين الدليلين يجب أن يكون من جميع الوجوه فلابد من التساوي في الثبوت فلا تعارض بين متواتر وآحاد، ولابد من التساوي في الدلالة فلا تعارض بين ما دلالته قطعية وما دلالته ظنية ، ولابد من التساوي في عدد الأدلة فلا تعارض بين دليلين ظنيين وبين دليل واحد ظني .

الشرط الثالث: أن يكون تقابل الدليلين في وقت واحد.

الشرط الرابع: أن يكون تقابل الدليلين في محل واحد ، لأن التضاد والتنافي لا يتحقق بين الشيئين في محلين. (١)

وقد ذكر المناطقة أيضا من شروط التعارض اتحاد الموضوع وهو (المحكوم عليه) والمحمول وهو (المحكوم به).

وبالنظر فيما ذكر من مفهوم التعارض وشروطه نجد أن الإشكالات الواردة من هذا الباب في تفسير الإمام الرازي ترجع إلى التسرع في الحكم بوجود تعارض دون التحقق من توافر شروطه، وعلى سبيل المثال في قضية توهم التعارض بين الآيات القرآنية نجد أن ذلك يرجع إلى عدة أسباب أهمها:

١- عدم إدراك اختلاف الموضوع في الآيات: والمقصود به أن يتوهم القارئ اتحاد الموضوع الذي تتحدث عنه الآيات بينما الحق أن كل آية لها معناها ودلالتها الخاصة بها، وإذا نظرنا في كثير من مواضع الإشكال الواردة في تفسير الإمام الرازي سنجد أن سببها عدم ملاحظه اختلاف الموضوع بين الآيات ، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦] يقول: (قال تعالى في هذه الآية: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ

(١) المهذب في أصول الفقه . ت /د / عبد الكريم النملة (ص٢٤١٢ – ٢٤١٣) ط مكتبة الرشد – الرياض – ط الأولي ، ١٤٢٠هـ.

أَحْبَبْتَ ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى: ٥٢] ولا تنافي بينهما فإن الذي أثبته وأضافه إليه الدعوة والبيان، والذي نفى عنه هداية التوفيق وشرح الصدر، وهو نور يقذف في القلب فيحيى به القلب، كما قال سبحانه:﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا ﴾ [الأنعام: ١٢٢]) (١)

فهنا نلحظ أن الإشكال نشأ من توهم اتحاد مدلول الهداية في كلا الآيتين في حين أن الأمر ليس كذلك، فمدلول الهداية في سورة القصص مختلف عن مدلولها في سورة الشورى ، فالهداية المثبتة لهﷺ في سورة الشورى، هي هداية الدلالة والإرشاد، والهداية المنفية عنه في سورة القصص هي هداية التوفيق ، وبذلك يظهر اختلاف الموضوع بين الآيتين ويحل الإشكال.

٢- عدم ملاحظة اختلاف الظروف والأحوال: والمقصود بذلك أن يتوهم القارئ وجود تعارض بين بعض الآيات التي تتحدث في قضية واحدة ، والسبب في ذلك عدم ملاحظته اختلاف الظرف الزماني أو المكاني للآيتين ، وكما هو معلوم فاختلاف الأزمنة أو الأمكنة ينفي التعارض، وإذا رجعنا إلى تفسير الإمام الرازي سنجد أنه أورد العديد من مواضع الإشكال التي كان سببها عدم إدراك اختلاف الظروف والأحوال بين الآيات المتوهم فيها التعارض، ومن ذلك مثلاً في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١] يقول: (طعن بعض الملحدة فقال: قوله: ولا يتساءلون وقوله: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ [المعارج: ١٠] يناقض قوله:﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [الصافات: ٢٧]

(١) تفسير الرازي (٥/٢٥)

والجواب عنه من وجوه: أحدها: إن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففيه أزمنة وأحوال مختلفة، فيتعارفون ويتساءلون في بعضها ويتحيرون في بعضها لشدة الفزع وثانيها: أنه إذا نفخ في الصور نفخة واحدة شغلوا بأنفسهم عن التساؤل فإذا نفخ فيه ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾[يس: ٥٢]) [(١)] فيفهم من كلام الإمام الرازي أن سبب الإشكال هنا عدم ملاحظة اختلاف الأزمنة والأحوال التي تحدث يوم القيامة والتي على أساسها تتغير الأحكام في قضية التساؤل وغيرها.

٣- عدم إدراك وقوع المخبر به على أطوار مختلفة: والمقصود بذلك وجود بعض الآيات التي تتحدث عن شيء واحد بألفاظ متغايرة "فيحصل إشكال للقارئ ويتوهم التعارض بينما هي في الحقيقة تحكي أحوالاً وأطواراً مختلفة لهذا الشيء الذي يتحدث عنه ، ومن أبرز الأمثلة الدالة على ذلك في تفسير الإمام الرازي قوله تعالى:﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩]

يقول الإمام الرازي: (ثم إنه تعالى ذكر في كيفية خلق آدم عليه السلام وجوها كثيرة: أحدها أنه مخلوق من التراب كما في هذه الآية، والثاني: أنه مخلوق من الماء، قال الله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ ﴾ [الفرقان: ٥٤]

والثالث:أنه مخلوق من الطين ، قال الله تعالى:﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾[السجدة: ٧ – ٨]

(١) تفسير الرازي (٢٣/٢٩٥).

والرابع: أنه مخلوق من سلالة من طين قال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٣]

الخامس: أنه مخلوق من طين لازب قال تعالى:﴿ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴾ [الصافات: ١١]

السادس: أنه مخلوق من صلصال قال تعالى:﴿ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾ [الحجر: ٢٨]

أما الحكماء فقالوا: إنما خلق آدم عليه السلام من تراب لوجوه: الأول: ليكون متواضعًا الثاني: ليكون ستاراً الثالث: ليكون أشد التصاقًا بالأرض ، ثم إنه تعالى مزج بين الأرض والماء ليمتزج الكثيف فيصير طيناً، وهو قوله:﴿ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴾ [ص: ٧١] ثم إنه في المرتبة الرابعة: قال:﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴾ [المؤمنون: ١٢] والسلالة بمعنى المفعولة لأنها هي التي تسل من ألطف أجزاء الطين، ثم إنه في المرتبة السادسة أثبت له من الصفات ثلاثة أنواع أحدها: أنه من صلصال، والصلصال اليابس الذي إذا حرك تصلصل كالخزف الذي يسمع من داخله صوت، والثاني: الحمأ وهو الذي استقر في الماء مدة وتغير لونه إلى السواد، والثالث: تغير رائحته، قال تعالى:﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] أي لم يتغير، فهذه جملة الكلام في التوفيق بين الآيات الواردة في خلق آدم عليه السلام) [1]

وهنا نلاحظ أن الإمام الرازي في ختام كلامه يلفت الانتباه إلى وجود إشكال حول فهم الآية المتعلقة بخلق سيدنا آدم حيث قال: (فهذه جملة الكلام

(١) تفسير الرازي (٢٤٣/٨-٢٤٤).

في التوفيق بين الآيات الواردة في خلق آدم عليه السلام) والتوفيق لا يكون إلا عند وجود الإشكال وتوهم وجود التعارض.

وبمراجعة كلام الإمام الرازي نجد أن الآيات إنما هي توصيف للمراحل والأطوار التي مر بها خلق سيدنا آدم، وعليه فلا إشكال.

٤- عدم ملاحظة تنوع الاعتبارات: وذلك كأن يسند نفس الفعل إلى أكثر من فاعل فيتوهم التعارض، والأمر في الحقيقة ليس كذلك نظراً لأن الإسناد يتعلق باعتبارات مختلفة بحسب كل فاعل، ومن أمثلة ذلك ما أورده الإمام الرازي عند تفسير قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١] حيث قال: (البحث الأول: أنه تعالى قال: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢] وقال: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ ﴾ [الملك: ٢]

فهذان النصان يدلان على أن توفي الأرواح ليس إلا من الله تعالى، ثم قال:﴿ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ [السجدة: ١١]

وهذا يقتضي أن الوفاة لا تحصل إلا من ملك الموت ، ثم قال في هذه الآية:﴿ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا ﴾ فهذه النصوص الثلاثة كالمتناقضة والجواب: أن التوفي في الحقيقة يحصل بقدره الله تعالى وهو في عالم الظاهر مفوض إلى ملك الموت وهو الرئيس المطلق في هذا الباب، وله أعوان وخدم وأنصار فحسنت إضافة التوفي إلى هذه الثلاثة بحسب الإعتبارات الثلاثة والله أعلم). [١]

فبالنظر في كلام الإمام الرازي ندرك أن الإشكال حدث بسبب إسناد فعل التوفي لأكثر من فاعل ، وقد حل الإمام الرازي الإشكال ببيان تنوع الاعتبارات ، فإسناد التوفي إلى الحق سبحانه وتعالي باعتبار أنه الفاعل

(١) تفسير الرازي (١٣/١٥-١٦).

الحقيقي الذي يصدر الأمر ويمنح القدرة على التنفيذ ، وإسناده إلى ملك الموت باعتباره فاعلاً سببيًا يجري على يده تنفيذ الأمر ، وأما الإسناد في قوله: ﴿ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا ﴾ فباعتبار كونهم أعوانًا لملك الموت، وبذلك يندفع الإشكال.

هذا وقد أورد الامام الرازي في تفسيره العديد من صور الإشكال التي يرجع سببها إلى التسرع في الحكم بوجود تعارض دون توافر شروطه، ومن ذلك:

أ . توهم اصطدام القرآن بالسنة: حيث إن مدلول الآية قد يبدو في ظاهره متعارضًا مع مدلول حديث ثابت عن رسول اللهﷺ فيكون ذلك سبباً لحدوث إشكال لدى البعض، وقد تعرض الإمام الرازي لهذه المسألة في بعض المواضع ، ومن ذلك: ما ذكره عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣]

فقال: (المسالة الثانية): طعن بعضهم فقال: هذه الآية تدل على أن العبد إنما يدخل الجنة بعمله، وقوله عليه السلام: (لن يدخل أحد الجنة بعمله وإنما يدخلها برحمة الله تعالى) [(١)]وبينهما تناقض . وجواب ما ذكرنا : أن العمل لا يوجب دخول الجنة لذاته ، وإنما لأجل أن الله تعالى بفضله جعله علامة عليه ومعرفة له ، وأيضًا لما كان الموفي للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة في الحقيقة ليس إلا بفضل الله تعالى) [(٢)]

فهنا نجد أن الإمام الرازي أوضح محل الإشكال، وهو توهم التعارض بين الآية والحديث، حيث إن مدلول الآية يفيد أن الإنسان يدخل الجنة بعمله بينما ينفي الحديث ذلك ، وقد حل الإمام الرازي هذا الإشكال ببيان أنه لا يوجد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب / المرضي . باب / نهي تمني المريض الموت (٢١٤٧/٥) ح (٥٣٤٩).

(٢) تفسير الرازي (٢٤٤/١٤).

تعارض ، فدخول الإنسان الجنة ليس في مقابلة عمله ، فالباء ليست للمقابلة وإنما الأمر راجع إلى فضل الله الذي جعل العمل علامة على ذلك ، كما أن التوفيق للعمل الصالح راجع إلى الله عز وجل ، وعليه فالأمر كله أولًا وأخراً عائد لفضل الله عز وجل.

ب – توهم اصطدام القرآن بالحقيقة العلمية : حيث إن مدلول الآية القرآنية قد يبدو في ظاهره متعارضًا مع حقيقة علمية ثابتة الأمر الذي يحدث إشكالًا لدى البعض.

هذا ومن خلال النظر في تفسير الإمام الرازي يمكننا أن نستنبط هذا الأمر في ضوء تفسيره لقوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٖ حَمِئَةٖ ﴾ [الكهف: ٨٦] حيث يقول: (ثبت بالدليل أن الأرض كرة وأن السماء محيطة بها ولا شك أن الشمس في الفلك، وأيضًا قال: ﴿ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ ﴾ [الكهف: ٨٦] ومعلوم أن جلوس قوم في قرب الشمس غير موجود، وأيضًا الشمس أكبر من الأرض بمرات كثيره فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض) [١] فهنا يبين الإمام الرازي أن ظاهر الآية يدل على أن للشمس مكاناً تغرب فيه ، ولا شك أن هذا المفهوم يتعارض مع الحقيقة العلمية التي تثبت أن الأرض كرة والسماء محيطة بها والشمس تجري في الفلك في دورة محددة مستمرة ، ولا يوجد لها مكان للطلوع أو الغروب ، وقد حل الإمام الرازي هذا الإشكال بعدة أجوبة : منها: أن المقصود بمغرب الشمس : أي منتهى ما يراه الناس من العمارة ، فالأمر متعلق بإدراك الناس وليس بواقع الحال تماماً كما يرى من في البحر الشمس وكأنها تغرب في وسطه وليس الأمر كذلك ، يقول الإمام الرازي :(تأويل قوله:﴿ تَغۡرُبُ فِي

(١) تفسير الرازي (٤٩٦/٢١) .

عَيۡنٖ حَمِئَةٖ ﴾ من وجوه الأول: أن ذا القرنين لما بلغ موضعها في المغرب ولم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في عين وهدة مظلمة وإن لم تكن كذلك في الحقيقة ، كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر) [1].

ج . توهم اصطدام القراءة القرآنية مع القواعد النحوية: وذلك كأن تأتي إحدى القراءات بما يخالف المشهور عند أهل النحو والعربية ، كما في قوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ ﴾[النساء: ١]

فقد اختلف القراء في قراءة قوله تعالى: (والأرحامِ) فقرأ حمزة: (والأرحامِ) بالجر وقرأ الباقون: ﴿ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ ﴾ بالنصب ، وقد اختلف المفسرون تبعًا لاختلاف القراء، فالمعنى على قراءة الجر: أنه يتساءل بالأرحام كما يقول الرجل : أسألك بالله وبالرحم[2] والمعنى على قراءة النصب يكون بإضمار فعل تقديره: واتقوا الأرحام أن تقطعوها. [3]

هذا وقد أشكلت قراءة الجر على البعض إلى حد أن ردها بعض المفسرين كالطبري[4] وابن عطية[5] والزمخشري[6] وقد طعنوا فيها بحجة أنها قراءة ضعيفة من ناحية اللغة ، حيث إنه لا يجوز أن يعطف ظاهر على مضمر مخفوض ، كما أن المعنى لا يستقيم مع هذه القراءة من وجهة نظرهم

(١) تفسير الرازي (٢١/٤٩٦).

(٢) تفسير الطبري (٦/٣٤٥) تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ط دار هجر . ط الأولي ١٤٢٢هـ.

(٣) تفسير الطبري (٦/٣٤٧).

(٤) المرجع السابق (٦/٣٤٥) .

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية (٢/٥) ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ط الأولي ١٤٢٢هـ .

(٦) الكشاف للزمخشري (١/٤٦٢) ط دار الكتاب العربي – بيروت ط الثالث.

، لأنه لا معنى للتساؤل بالأرحام في الحض على تقوى الله ،إضافة إلى أنها تقرر جواز القسم بالأرحام وهو حرام ، وقد هب الإمام الرازي للذب عن هذه القراءة وحل هذا الإشكال، وقد مر ذلك معنا عند الحديث عن الإشكال الضمني.

السبب الثاني من أسباب حصول الإشكال :توهم عدم وضوح المقصود من الآية:

يعتبر خفاء المعنى من أكثر الأمور التي يقع بسببها الإشكال ، ومن ذلك مثلاً قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٩] فمعني الآية مشكل حيث إن الظاهر يقتضي، أن يقع الدخول أولاً ثم يأويهما إليه ، وقد دفع الإمام الرازي هذا الإشكال ببيان أن سيدنا يوسف خرج يستقبلهم ، ونزل بهم في بيت هناك أو خيمة فدخلوا عليه وضم إليه أبويه وقال ﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ ﴾ أو يكون المراد بقوله:﴿ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ ﴾ أي أقيموا بها آمنين فسمى الإقامة دخولًا لاقتران أحدهما بالآخر(١).

السبب الثالث من أسباب حصول الإشكال: عدم إدراك احتمال الآية لمعنى القراءتين في الكلمة الواحدة:

أحياناً تتعدد القراءات في الكلمة الواحدة فيكون ذلك مسار إشكال خاصة عندما يختلف المعنى تبعًا لذلك ، ولكن طالما ثبتت القراءة وكانت اللفظة القرآنية تحتمل كلا المعنيين فلا إشكال ، يقول الدكتور محمد الحبش في كتابه (القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية): (لابد هنا من التذكير بقاعدة وجوب إعمال القراءات المتواترة جميعًا وأن تعدد القراءات ينزل منزلة تعدد الآيات ، وينبغي القول بأن هذه الاختلافات ليست

(١) تفسير الرازي (٥١٠/١٨).

متناقضة بمعنى أن المفسر يلجأ إلى هدر أحد الوجهين إذا اعتمد الآخر بل هي ذات معان متضامنة يكمل بعضها بعضها، وقد يدل الوجه على ما لا يدل عليه أخوه ولكنه لا ينافره ولا يضاده ، بل يمنحك معنى جديداً يضيء لك سبيل التفسير). [1]

وإذا نظرنا في تفسير الإمام الرازي سنجد أن واحداً من أسباب حصول الإشكال كان عدم إدراك تحمل الآية لمعنى قراءتين مختلفتين ، ومن ذلك: ما أورده عند تفسير قوله تعالى:﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢] حيث ذكر أ في الآية قراءتين إحداهما:"عجبتُ" بضم التاء ، قرأ بها حمزة والكسائي، والأخري " عجبتَ" بتفح التاء، قرأ بها الباقون ،وقد بين الإمام الرازي أن البعض قد أشكلت عليه قراءة الضم على اعتبار أن إسناد التعجب إلى الله لا يصح لأن التعجب إنما يكون ممن لا يعلم وذلك محال في حقه سبحانه ، ولكن الإمام الرازي دفع هذا الإشكال وفقًا للقاعدة المقررة عند أهل العلم وهي أنه متى ما ثبتت القراءة واحتملت الكلمة معناها فلا يمكن ردها بل يجب التوفيق بينها وبين القراءة الأخرى ، وهذا ما قام به الإمام الرازي حيث بين أن الآية تحتمل كلا المعنيين ، وأنه لا مانع من إسناد التعجب إلى الله عز وجل باعتبار أنه محمول على أنه تعالى يستعظم تلك الحالة إن كانت قبيحة فيترتب العقاب العظيم عليه وإن كانت حسنة فيترتب الثواب العظيم عليه.

السبب الرابع: الايجاز والاختصار :

من أبدع الأساليب التي استعملها القرآن أسلوب الإيجاز ، والإيجاز نوعان حذف وقصر، فالحذف : إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام ، والقصر: بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى

(١) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ت د / محمد الحبش (ص١٢١) ، ط دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان.

من غير حذف[١]، والإيجاز قد يصاحبه غموض مما قد يؤدي الى استشكال الآية لدى البعض ، وهذا ما أدى ببعض المفسرين إلى الإطناب في البيان لبعض الآيات مما يوحي بوجود استشكال ، فإن لم يكن لدى نفس المفسر فلأنه يريد لقارئ كتابه ألا يستشكل الآية [٢] ومن الأمثلة على ذلك : ما ذكره الإمام الرازي عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾ [البقرة: ١٧٩] حيث قال: (ليس المراد من هذه الآية أن نفس القصاص حياة لأن القصاص إزالة للحياة ، وإزالة الشيء يمتنع أن تكون نفس ذلك الشيء ، بل المراد أن شرع القصاص يفضي إلى الحياة في حق من يريد أن يكون قاتلاً ، وفي حق من يراد جعله مقتولاً، وفي حق غيرهما أيضًا) . [٣]

فنلاحظ هنا (أن الفخر الرازي نفى في بداية حديثه عن الآية المعنى المتبادر إلى الذهن عند تلاوتها إذ كيف يكون القصاص وهو إزالة للحياة حياة) [٤] وعلى ذلك فالإيجاز قد يصاحبه غموض والتباس.

السبب الخامس: عدم إدراك حكم التكرار وأسراره :

التكرار في القرآن الكريم أمر موجود لا شك في ذلك إلا أنه ينبغي أن يعلم أن التكرار الواقع في القرآن الكريم يباين التكرار الكائن في كلام البشر ، إذ إن هذا الأخير لا يسلم عادة من القلق والاضطراب ويعد عيبًا في الأسلوب يعاب عليه الكاتب ، والتكرار في كلام الله سبحانه ليس هو التكرار المعهود والمذموم في كلام البشر إذ هو تكرار محكم ذو وظيفة يؤديها في النص القرآني، يعرف ذلك كل من خبر طبيعة النص القرآني وخصائصه ، ونستطيع إن نقول إن التكرار في القرآن يؤدي وظيفتين اثنتين: الأولى وظيفة دينية

(١) النكت في إعجاز القرآن للرماني (ص٧٦) مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. ط دار المعارف –مصر . ط الثالثة – ١٩٧٦م.

(٢) مشكل القرآن الكريم ص٢٠٠.

(٣) تفسير الرازي (٢٢٩/٥) .

(٤) مشكل القرآن الكريم ص١٩٩.

غايتها تقرير وتأكيد الحكم الشرعي الذي جاء به النص القرآني ، أما الوظيفة الثانية للتكرار فهي وظيفة أدبية تتمثل في تأكيد المعاني وإبرازها وبيانها بالصورة الأوفق والأنسب والأقوم.

ومن خلال هذا العرض يتبين لنا أن التكرار في القرآن مضيف ومفيد ، إلا أن البعض قد تخفى عليه أسرار التكرار فتحصل له الحيرة والالتباس ، وفي ضوء تتبع مواضع المشكل في تفسير الإمام الرازي نجد أن عدم إدراك الحكمة من التكرار يتسبب في الإشكال ، ومن ذلك مثلاً في تفسير قوله تعالى:﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٦]

يقول الامام الرازي: (فيه سؤالات: السؤال الأول :قال في أول الآية ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا ﴾ وقال في آخرها ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ وهذا تكرار ، والجواب: أن قوله: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ ﴾ مختص بالمرتدين ، ثم إنه تعالى عمم ذلك الحكم في المرتد وفي الكافر الأصلي فقال : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾) [1].

السبب السادس: توهم تفكك النظم وعدم انسجام جمله:

ومن ذلك الإشكال الذي طرحه الإمام الرازي بشأن توهم عدم وجود تناسب بين قوله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢]

(١) تفسير الرازي (٢٨٤/٨).

وبين ما قبله من قوله تعالى:﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّۘ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧]

فقال: (قوله:﴿ مِنۡ أَجۡلِ ﴾ أي من أجل ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بني إسرائيل القصاص وذلك مشكل ، فإنه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بني إسرائيل. الثاني أن وجوب القصاص حكم ثابت في جميع الأمم فما فائدة تخصيصه ببني إسرائيل؟)[١] وقد أجاب الإمام الرازي عن هذا الإشكال ببيان وجه التناسب فقال:(قوله : ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ ﴾ ليس إشارة إلى قصة قابيل وهابيل بل هو إشارة إلى ما مر ذكره في هذه القصة من أنواع المفاسد الحاصلة بسبب القتل الحرام منها قوله:﴿ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٣٠] ومنها قوله: ﴿ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١ ﴾ [المائدة: ٣١] فقوله : ﴿ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ إشارة إلى أنه حصلت له خسارة الدين والدنيا وقوله: ﴿ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ إشارة إلى أنه حصل في قلبه أنواع الندم والحسرة والحزن مع أنه لا دفع له البتة، فقوله: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ أي من أجل ذلك الذي ذكرنا في أثناء القصة من أنواع المفاسد المتولدة من القتل العمد العدوان شرعنا القصاص في حق القاتل ، وهذا جواب حسن والله أعلم) .[٢]

السبب السابع: توهم خروج الكلام عن مقتضى الظاهر :

كما في قوله تعالى:﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ

(١) المرجع السابق (١١/٣٤٢-٣٤٣) .

(٢) تفسير الرازي (١١/٣٤٣).

﴾ [البقرة: ٩٧] حيث يقول الإمام الرازي: (السؤال الثالث: كان حق الكلام أن يقال (على قلبي) والجواب: جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كأنه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك) [١]

السبب الثامن: عدم إدراك الوجه الإعرابي الذي يمكن حمل الآية عليه:

فقد يحصل الإشكال بسبب التحير في الوجه الإعرابي للآية القرآنية، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾[النازعات: ٨ – ٩] فقد حصل إشكال حول الآية بسبب الابتداء بلفظة (قلوب) ومعلوم أنه لا يجوز الابتداء بالنكرة ، وقد أجاب الإمام الرازي عن ذلك بأن تمام القاعدة أنه لا يجوز الابتداء بالنكرة إلا إذا أفادت ، ومن أوجه إفادتها أن تكون موصوفة ، ومن هنا توصل إلى الوجه الإعرابي السليم للآية وهو أن تكون (قلوب) مبتدأ ، وأبصارها خاشعة خبر، أما قوله واجفة فهو صفة لقلوب [٢]

السبب التاسع: توهم اصطدام الآية بالأصول العقدية:

فبالنظر في تفسير الإمام الرازي يمكننا أن نستنبط أن من بين أسباب الإشكال: أن يكون في الآيات ما يوهم ظاهره التعارض مع أحكام العقيدة وأصولها ، ومن ذلك في تفسير قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٥] يقول الإمام الرازي: (وفيه أسئلة : الأول: كيف يجوز وصف الله تعالى بأنه يستهزئ وقد ثبت أن الاستهزاء لا ينفك عن التلبيس، وهو على الله محال) [٣]وقد أجاب الإمام الرازي عن ذلك بعدة أمور منها: (أن ما يفعله الله بهم جزاءاً على استهزائهم سماه بالاستهزاء لأن جزاء

(١) المرجع السابق (٦١٢/٣).
(٢) المرجع السابق (٣٥/٣١).
(٣) تفسير الرازي (٣٠٩/٢).

الشيء يسمى باسم ذلك الشيء ، قال تعالى﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [الشورى: ٤٠]﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ [البقرة: ١٩٤]﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾ [آل عمران: ٥٤] ومنها: أن ضرر استهزائهم بالمؤمنين راجع عليهم وغير ضار بالمؤمنين ، فيصير كأن الله استهزأ بهم ، ومنها: أن من آثار الاستهزاء حصول الهوان والحقارة فذكر الاستهزاء ، والمراد حصول الهوان لهم تعبيراً بالسبب عن المسبب ، ومنها: أن الله تعالى يعاملهم معاملة المستهزئ في الدنيا وفي الآخرة ، أما في الدنيا فلأنه تعالى أطلع الرسول على أسرارهم مع أنهم كانوا يبالغون في إخفائها عنه ، وأما في الآخره فقال ابن عباس : إذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار فتح الله من الجنة بابا على الجحيم في الموضع الذي هو مسكن المنافقين ، فإذا رأى المنافقون الباب مفتوحًا أخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون إلى الجنة وأهل الجنة ينظرون إليهم ، فإذا وصلوا إلى باب الجنة فهناك يغلق دونهم الباب ، فذاك قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ ﴾ [المطففين: ٢٩ – ٣٤] ، فهذا هو الاستهزاء بهم) [(١)].

(١) المرجع السابق (٢/٣٠٩-٣١٠).

السبب العاشر: غرابة اللفظ :

وقد مر الحديث عنه عند ذكر صور المشكل اللغوي

السبب الحادي عشر :خفاء الحكمة من استخدام بعض الأساليب اللغوية:

ومن ذلك الإشكال الناشئ عن عدم إدراك الحكمة من استخدام أسلوب الالتفات في قوله تعالى:﴿ * تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]

حيث يقول الإمام الرازي: (فيه سؤالات : السؤال الأول: أنه تعالى قال في أول الآية: ﴿ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ ثم عدل عن هذا النوع من الكلام إلى المغايبة، فقال:﴿ * مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ ثم عدل من المغايبة إلى النوع الأول فقال:﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ فما الفائدة في العدول عن المخاطبة إلى المغايبة ثم عنها إلى المخاطبة مرة أخرى ؟ والجواب: أن قوله: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ أهيب وأكثر وقعًا من أن يقال منهم من كلمنا ولذلك قال (وكلم الله موسى تكليما) فلهذا المقصود اختار لفظ الغيبة ، وأما قوله :﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ فإنما اختار لفظ المخاطبة لأن الضمير في قوله :﴿ وَءَاتَيْنَا ﴾ ضمير التعظيم وتعظيم المؤتي يدل على عظمة الإيتاء) [(١)].

هذه جملة من أسباب الإشكال المستنبطة من مواضعه في تفسير الرازي، وهناك من الأسباب ما تمت الإشارة إليه عند بيان أنواع المشكل ، وهاك عرضها بأمثلتها:

(١) تفسير الرازي (٥٢٨/٦).

السبب الثاني عشر: توهم عدم الفائدة من ذكر بعض الألفاظ :

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ ﴾ [الأنعام: ٣٨]

يقول الإمام الرازي: (السؤال الثالث: ما الفائدة في قوله :﴿ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ ﴾ مع أن كل طائر إنما يطير بجناحيه ، والجواب فيه من وجوه :الأول: أن هذا الوصف إنما ذكر للتأكيد ، كقوله نعجة أنثى ، وكما يقال: كلمته بفي ، ومشيت اليه برجلي . الثاني : أنه قد يقول الرجل لعبده طِرْفِي حاجتي والمراد الإسراع ، وعلى هذا التقدير فقد يحصل الطيران لا بالجناح . والثالث: أنه تعالى قال في صفة الملائكة:﴿ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ ﴾ [فاطر: ١]

فذكر هاهنا قوله:﴿ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ ﴾ ليخرج عنه الملائكة فإنا بينا أن المقصود من هذا الكلام إنما يتم بذكر من كان أدون حالاً من الإنسان لا بذكر من كان أعلى حالًا منه)[١].

السبب الثالث عشر: توهم فساد المعنى:

ومن ذلك الإشكال الوارد في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

يقول الإمام الرازي: (السؤال الأول: المداينة مفاعلة وحقيقتها أن يحصل من كل واحد منهما دين ، وذلك هو بيع الدين بالدين وهو باطل بالاتفاق، والجواب:أن المراد من تداينتم تعاملتم، والتقدير إذا تعاملتم بما فيه دين)[٢]

(١) المرجع السابق (٥٢٤/١٢) .

(٢) تفسير الرازي (٩١/٧).

السبب الرابع عشر: توهم عدم وجود تناسب بين الفواصل وآياتها

وذلك كالإشكال الذي طرحه الإمام الرازي بسبب التحير في فهم وجه التناسب بين قوله تعالى: ﴿ ۞ ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [الحج: ٦٠] والفاصلة ، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾

يقول الإمام الرازي:(السؤال الخامس: أي تعلق لقوله:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ بما تقدم؟ الجواب : فيه وجوه أحدها: أن الله تعالى ندب المعاقب إلى العفو عن الجاني بقوله:﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠] ﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٣٧] ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى: ٤٣]

فلما لم يأت بهذا المندوب فهو نوع إساءة ، فكأنه سبحانه قال إني قد عفوت عن هذه الإساءة وغفرتها فإني أنا الذي أذنت لك في ذلك ، وثانيها: أنه سبحانه وإن ضمن لك النصر على الباغي لكنه عرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو والمغفرة فلوح بذكر هاتين الصفتين. وثالثها: أنه سبحانه دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده)[1].

(١) المرجع السابق(٢٣/٢٤٥).

السبب الخامس عشر: توهم اصطدام الآية بالقياس العقلي:

وذلك كقوله تعالى في ذم بني إسرائيل:﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ ﴾ [المائدة: ٧٩]

فعلى القول بأن معنى يتناهون : أي لا ينتهون يكون هناك إشكال على اعتبار أن أمرهم بالانتهاء عن المنكر الذي وقع بالفعل أمر غير ممكن عقلاً ، وقد أجاب الإمام الرازي على ذلك بعدة أجوبة (الأول: أن يكون المراد لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه. الثاني: ﴿ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖۚ ﴾ أرادوا فعله وأحضروا آلاته وأدواته . الثالث: لا يتناهون عن الإصرار على منكر فعلوه) [(١)] .

السبب السادس عشر: توهم اصطدام الآية بواقع الحال :

ومن أمثلته الإشكال الواقع في قوله تعالي :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ [البقرة: ١٨٦] فالآية هنا ترتب الإجابة على الدعاء في حين أن الواقع يشهد بأن الإنسان قد يدعو ولا يستجاب له ، وهنا يحدث الإشكال الذي يعبر عنه الإمام الرازي بقوله: (في الآية سؤال مشكل مشهور : وهو أنه تعالى قال:﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر: ٦٠]

وقال في هذه الآية :﴿ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ وكذلك: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل: ٦٢]

ثم إنا نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب . والجواب: أن هذه الآية وإن كانت مطلقة إلا أنه قد وردت آية أخرى مقيدة ، وهو قوله تعالى﴿ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ ﴾ [الأنعام: ٤١] ولا شك أن المطلق محمول على المقيد) [(٢)].

---

(١) تفسير الرازي (٤١٢/١٢).

(٢) المرجع السابق (٢٦٥/٥).

المبحث الثالث

أدوات الإمام الرازي في دفع الإشكال

استخدم الإمام الرازي العديد من الأدوات في دفع الإشكالات وحلها، ويمكننا عرضها في المطالب الآتية:

المطلب الأول

الجمع بين ما يوهم ظاهره التعارض

والمقصود بالجمع : بيان التوافق والائتلاف بين الأدلة الشرعية سواء كانت عقلية أو نقلية ، وإظهار أن الاختلاف غير موجود بينهما حقيقة ، وسواء كان ذلك البيان بتأويل الطرفين أو أحدهما. (١)

وقد اتفق العلماء على أنه إذا ورد نص يوهم ظاهره التعارض مع غيره فالأولى الجمع والتوفيق لأن إعمال النصين أولى من إعمال أحدهما وإهمال الآخر.

وإذا نظرنا في تفسير الإمام الرازي سنجد أنه اعتمد مبدأ الجمع في حل الكثير من الإشكالات المتعلقة بتوهم التعارض، وقد اتخذ ذلك عدة صور:

أولها: الجمع ببيان اختلاف الموضوع فيما يوهم ظاهره التعارض :

ومن ذلك الإشكال الذي طرحه الإمام الرازي فيما يتعلق بقوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [نوح: ١ – ٤]

فالله عز وجل أخبر بإمكانية تأخير أجل قوم سيدنا نوح ، وذلك بقوله عز وجل: ﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾ وفي نفس

(١) التعارض والترجيح للحفناوي ص٢٥٩ ، ط دار الوفاء ، ط الثانية ١٤٠٨هـ.

الآية أخبرنا بامتناع تأخير الأجل فقال: ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ﴾ وهذه صورة ظاهرة للتعارض في الآية ، وقد دفع الإمام الرازي هذا الإشكال وأظهر إمكانية الجمع ببيان اختلاف الموضوع ، فالأجل المذكور في البداية هو تقدير الله عز وجل إطالة عمر قوم سيدنا نوح عن أجلهم الأصلى إن هم آمنوا وأطاعوا ، ثم بين أنه إذا انقضى أحد الأجلين وفق ما يختارون فلا يمكن تأخيره، وهاك نص كلام الإمام الرازي في عرض الإشكال ودفعه: (السؤال الثاني: كيف قال: ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ ﴾ مع إخباره بامتناع تأخير الأجل ، وهل هذا إلا تناقض؟ الجواب: قضى الله مثلاً أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم الله ألف سنة، وإن بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة سنة ، فقيل لهم آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى أي إلى وقت سماه الله وجعله غاية الطول في العمر وهو تمام الألف ، ثم أخبر أنه إذا انقضى ذلك الأجل الأطول لابد من الموت) [(١)].

ثانيها: الجمع بين الآيات ببيان اختلاف الظروف فيما يوهم ظاهره التعارض : ومن ذلك قوله تعالى في حق الكفار:﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٧] فقد بين الإمام الرازي أن واحداً حصل له الإشكال حول هذه الآية ، وقال لسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أليس أنه تعالى يقول :﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ ﴾ [الكهف: ٥٣] وقال:﴿ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٢] وقال ﴿ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [الفرقان: ١٣] وقال: ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ [النحل: ١١١] وقال حكاية عن الكفار: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣]

(١) تفسير الرازي (٣٠/٦٥٠) .

فثبت بهذه الآيات أنهم يرون ويسمعون ويتكلمون فكيف قال ها هنا ﴿ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا ﴾ ؟) [1]هذا وقد أجاب ابن عباس وتلامذته بعدة أوجه منها: (أنهم يكونون رائين سامعين ناطقين في الموقف، ولولا ذلك لما قدروا على أن يطالعوا كتبهم ولا أن يسمعوا إلزام حجة الله عليهم إلا أنهم إذا أخذوا يذهبون من الموقف إلى النار جعلهم الله (عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗا))[2] فهذا الوجه يظهر اختلاف أحوال الكفار يوم القيامة ففي بعضها تثبت لهم الرؤية والسماع والنطق وفي بعضها لا يثبت وعليه فلا تعارض.

ثالثها: الجمع بين الآيات ببيان وقوع المخبر به على أطوار مختلفة: وذلك كما في قوله تعالى:﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴾ [البقرة: ٦٠] يقول الإمام الرازي: (السؤال الثاني: أنه تعالى ذكر هاهنا ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ ﴾ وفي الأعراف (فَانبَجَسَتْ) وبينهما تناقض لأن الانفجار خروج الماء بكثرة والانبجاس خروجه قليلاً) [3]وقد دفع هذا الإشكال بعدة أوجه ، من بينها وقوع المخبر به على أطوار مختلفة ، فقال: (لعله انبجس أولاً ثم انفجر ثانيًا، وكذا العيون يظهر الماء منها قليلاً ثم يكثر لدوام خروجه)[4].

رابعها: الجمع ببيان تنوع الاعتبارات: ومن ذلك الإشكال الذي طرحه الإمام الرازي فيما يتعلق بقوله تعالى:﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: ١٠٤]

(١) المرجع السابق (٤١١/٢١)

(٢) تفسير الرازي (٤١١/٢١)

(٣) تفسير الرازي (٥٢٩/٣).

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة .

حيث قال: (قوله﴿ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ فيه سؤال : وهو أن ظاهر هذه الآية يدل على أن الآخذ هو الله وقوله:﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ ﴾ [التوبة: ١٠٣]

يدل على أن الآخذ هو الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقوله عليه السلام لمعاذ : (خذها من أغنيائهم) يدل على أن آخذ تلك الصدقات هو معاذ، وإذا دفعت الصدقة إلى الفقير فالحس يشهد أن آخذها هو الفقير، فكيف الجمع بين هذه الألفاظ؟) [(١)] وقد أجاب عن ذلك بجوابين : ثانيهما مفاده تنوع اعتبارات الأخذ حيث يقول الإمام الرازي : (والجواب الثاني: أنه أضيف إلى الرسول عليه السلام بمعنى أنه يأمر بأخذها ويبلغ حكم الله في هذه الواقعة إلى الناس، وأضيف إلى الفقير بمعنى أنه هو الذي يباشر الأخذ)[(٢)].

خامسها: الجمع بين الآيات باستخدام تفسير القرآن بالقرآن: ومن أمثلته : ما ورد عند تفسير قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ٩٠ ﴾ [آل عمران: ٩٠]

حيث يقول الإمام الرازي: (المسألة الثانية: أنه تعالى حكم في الآية الأولى بقبول توبة المرتدين وحكم في هذه الآية بعدم قبولها وهو يوهم التناقض . وأيضًا ثبت بالدليل أنه متى وجدت التوبة بشروطها فإنها تكون مقبولة لا محالة)[(٣)] وقد دفع الإمام الرازي هذا الإشكال ببيان أن قوله تعالى: ﴿ لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ ﴾ مطلق قيده قوله تعالى في سوره النساء:﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾ [النساء: ١٨]

(١) تفسير الرازي (١٤١/١٦) .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) تفسير الرازي (٢٨٦/٨).

وعليه فمعنى الآية:﴿ لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ ﴾ إن هم تابوا عند معاينة الموت، وبذلك يحصل التوفيق بين الآيتين باستخدام تقييد المطلق الذي هو صورة من تفسير القرآن بالقرآن، يقول الإمام الرازي: (قال الحسن وقتادة وعطاء: السبب أنهم لا يتوبون إلا عند حضور الموت ، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾) [1].

المطلب الثاني

الاعتماد على اللغة

فاللغة كانت أداة مهمة اعتمد عليها الإمام الرازي كثيرًا في دفع الإشكالات، وباستقراء مواضع الإشكال في تفسير الإمام الرازي نجد تنوعًا في الأدوات اللغوية التي استخدمها، والتي يمكن عرضها على النحو الآتي:

أ . **استخدام المجاز:** والمجاز نوعان : النوع الأول : المجاز اللغوي : وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إراده المعنى الحقيقي ، والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المشابهة فتسمى استعارة ، كما في قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١] فالظلمات والنور ليستا على حقيقتهما، وإنما استعملتا في معنيين مجازيين، فالمقصود بالظلمات: الضلال ، وبالنور: الهدى والإيمان، والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي المشابهة، والقرينة حالية ، [2] وقد تكون العلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي غير المشابهة وهو ما يعرف بالمجاز المرسل،

(١) تفسير الرازي (٢٨٦/٨) .

(٢) البلاغة الواضحة ص٧٤.

وعلاقاته متعددة ، ومنها المسببية كما في قوله تعالى﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ﴾ [غافر: ١٣] فقد أطلق الرزق وأراد المطر فهو مجاز علاقته المسببية . (١)

والنوع الثاني للمجاز: هو المجاز العقلي ومعناه: إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي ، مثاله: بنى عمرو بن العاص مدينة الفسطاط ، فالفعل هنا أسند إلى غير فاعله ، فالأمير لا يبني وإنما يبني العمال ، لكن لما كان الأمير سببًا للبناء أسند الفعل إليه مجازاً. (٢)

وإذا نظرنا في تفسير الإمام الرازي سنجد أنه استخدم جميع صور المجاز السابقة في رد الإشكالات :

فمن أمثلة استخدام المجاز المرسل: في تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣ – ٢٤]

طرح الإمام الرازي إشكالا حول العلاقة بين اتقاء النار وانتفاء إتيانهم بسورة من مثل القرآن ، فظاهر الآية يبين أن عجزهم عن معارضة القرآن قد يوصلهم إلى النار التي يجب أن يتقوها ، وهنا يلتبس الأمر على القارئ الذي يشعر بأن التلازم بين الأمرين غامض ، وقد دفع الإمام الرازي هذا الإشكال ببيان أن عجزهم عن المعارضة يوجب الاعتراف بصدق الرسول ، فإن هم عاندوا وجبت لهم النار، وعليه أقيم قوله:﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ﴾ مقام فاتركوا العناد

(١) المرجع السابق ص١٠٧–١٠٨.

(٢) البلاغة الواضحة ص١١٤–١١٥.

وهذا باب من أبواب المجاز المرسل حيث أطلق المسبب وهو ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ وأراد السبب وهو العناد فإن هم عجزوا وعاندوا استوجبوا النار، وهاك نص كلام الإمام الرازي في عرض الإشكال ورده يقول: (السؤال الخامس: ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله؟ الجواب : إذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله ﷺ ، وإذا صح ذلك ثم لزموا العناد استوجبوا العقاب بالنار ، فاتقاء النار يوجب ترك العناد فأقيم المؤثرمقام الأثر، وجعل قوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ قائما مقام قوله فاتركوا العناد، وهذا هو الإيجاز الذي هو أحد أبواب البلاغة ، وفيه تحويل لشأن العناد لإنابة اتقاء النار منابه متبعاً ذلك بتهويل صفة النار). [١]

ومن أمثلة استخدام الاستعارة : في تفسير قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٨]

طرح الإمام الرازي إشكالًا في هيئة سؤال فقال: (السؤال الأول: كيف يجوز أن يكونوا أعداء الله ومن حق العداوة الإضرار بالعدو وذلك محال على الله تعالى؟) [٢] وقد أجاب عن هذا الإشكال بأمرين : ثانيهما: مفاده أنه شبه كراهيتهم القيام بطاعة الله وعبادته بالعداوة بجامع عدم الموافقة في كل، ثم حذف المشبه واستعير له لفظ المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، يقول الإمام الرازي:(والجواب .....أن يراد بذلك كراهتهم القيام بطاعته وعبادته وبعدهم عن التمسك بذلك، فلما كان العدو لا يكاد يوافق عدوه أو ينقاد له شبه طريقتهم في هذا الوجه بالعداوة) [٣]

(١) تفسير الرازي (٣٥٢/٢).
(٢) تفسير الرازي (٦١٣/٣)
(٣) تفسير الرازي (٦١٣/٣).

ومن أمثلة استخدام المجاز العقلي: في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [آل عمران: ٢١]

يقول الإمام الرازي: (السؤال الأول: إذا كان قوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ في حكم المستقبل لأنه وعيد لمن كان في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يقع منهم قتل الأنبياء ولا القائمين بالقسط فكيف يصح ذلك؟ والجواب: أن هذه الطريقة لما كانت طريقة أسلافهم صحت هذه الإضافة إليهم إذ كانوا مصوبين وبطريقتهم راضين ، فإن صنع الأب قد يضاف إلى الابن إذا كان راضيًا به وجاريًا على طريقته) [(١)].

فبالنظر في كلام الإمام الرازي نلاحظ أنه استخدم في دفع الإشكال المجاز العقلي ، حيث إن من صوره إسناد الفعل إلى الجنس كله وهو في الحقيقة مسند إلى بعضه ، كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد ، ومنه قوله تعالى:﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ ﴾ [الأعراف: ٧٧] وقد أشار إلى ذلك الإمام الزمخشري في تفسير ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ ﴾ حيث قال: (أسند العقر إلى جميعهم لأنه كان برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم ، وقد يقال للقبيلة الضخمة أنتم فعلتم كذا وما فعله إلا واحد منهم [(٢)]) [(٣)].

(١) تفسير الرازي (١٧٦/٧) .

(٢) الكشاف للزمخشري (١٢٣/٢) .

(٣) تفسير الرازي (١٤/ ٣٠٧).

ب – بيان الحكمة من استخدام بعض الأساليب اللغوية الجارية على خلاف مقتضى الظاهر: ويدخل في ذلك بيان السر في استعمال أسلوب الالتفات وترك مقتضى الظاهر ، وذلك كما في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧]

حيث طرح الإمام الرازي إشكالاً حول السر في العدول عن أسلوب الخطاب في قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ إلى أسلوب الغيبة في قوله ﴿ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ﴾ يقول الإمام الرازي:(السؤال الثالث: قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ خطاب مشافهة وقوله ﴿ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ﴾ خطاب مغايبة فكيف يليق أحدهما بالآخر؟) [1] وقد دفع هذا الإشكال بقول : الجواب: (منهم من حمل ذلك على طريقة الالتفات ، كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾ [يونس: ٢٢]

ومنهم من قال هذا تنبيه على أن التهديد حاصل في غيرهم ممن يكذبون من أبناء جنسهم ، وعندي فيه احتمال آخر وهو أن اللعن هو الطرد والإبعاد وذكر البعيد لا يكون إلا بالمغايبة ، فلما لعنهم ذكرهم بعبارة الغيبة) . [2]

ج– بيان التوجيه اللغوي الموضح لصحة المعنى: فقد يشكل معنى الآية على البعض بسبب توهم اصطدامها بقاعدة لغوية فيأتي التوجيه اللغوي ليوضح جريان الآية على القواعد السليمة، وذلك كما في قوله تعالى:

(١) تفسير الرازي (٩٧/١٠) .

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [آل عمران: ١١١]

فقد أشكل معنى الآية على البعض حيث إن قوله تعالى:﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ معطوف على جواب الشرط ﴿ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ فكان حقه الجزم إلا أنه جاء مرفوعًا ، يقول الإمام الرازي: (السؤال الثاني: هلا جزم قوله: ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾؟)[١] وقد دفع هذا الإشكال ببيان التوجيه اللغوي السليم الذي يبين صحة معنى الآية وجريانها على قواعد اللغة فقال: (قُلْنَا :عَدَلَ بِهِ عَنْ حُكْمِ الْجَزَاءِ إِلَى حُكْمِ الْإِخْبَارِ ابْتِدَاءً كَأَنَّهُ قِيلَ أُخْبِرُكُمْ أَنَّهُمْ لَا يُنْصَرُونَ، وَالْفَائِدَةُ فِيهِ أَنَّهُ لَوْ جُزِمَ لَكَانَ نَفْيُ النَّصْرِ مُقَيَّدًا بِمُقَاتَلَتِهِمْ كَتَوْلِيَةِ الْأَدْبَارِ، وَحِينَ رُفِعَ كَانَ نَفْيُ النَّصْرِ وَعْدًا مُطْلَقًا كَأَنَّهُ قَالَ :ثُمَّ شَأْنُهُمْ وَقِصَّتُهُمُ الَّتِي أُخْبِرُكُمْ عَنْهَا وَأُبَشِّرُكُمْ بِهَا بَعْدَ التَّوْلِيَةِ أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ النُّصْرَةَ بَعْدَ ذَلِكَ قَطُّ بَلْ يَبْقَوْنَ فِي الذِّلَّةِ وَالْمَهَانَةِ أَبَدًا دَائِمًا)[٢]

د. **الحل باستعمال أسلوب الكناية:** وذلك كما في الإشكال السابق في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ﴾ فمن بين الأوجه التي حل بها الإمام الرازي الإشكال أنه بين أن اللفظ الوارد إنما هو كناية عن صعوبة الموقف عليهم إلى حد أنهم يخرجون أرواحهم بأنفسهم ، يقول الرازي: (الوجه الرابع: أن هذا اللفظ كناية عن شدة حالهم وأنهم بلغوا في البلاء والشدة إلى حيث تولى بنفسه إزهاق روحه). [٣]

(١) تفسير الرازي (٣٢٨/٨).

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.

هـ . **الحل بالرجوع إلى المعنى اللغوي للفظة القرآنية** : ومن أمثلته الإشكال الوارد في قوله تعالى:﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾ [الشورى: ٤٠]

يقول الإمام الرازي: (لقائل أن يقول : جزاء السيئة مشروع مأذون فيه فكيف سمي بالسيئة؟) [١] وقد دفع الإمام الرازي هذا الإشكال بما أجاب به الإمام الزمخشري ، حيث بين أنه بالرجوع إلى المعنى اللغوي للفظة السيئة يظهر جواز إطلاقها على الفعل وجزائه، فالسيئة في اللغة ما سميت بذلك إلا لأنها تسوء من تنزل به، يقول الإمام الرازي: (أجاب صاحب الكشاف عَنْهُ : كِلْتَا الْفِعْلَتَيْنِ الْأُولَى وَجَزَاؤُهَا سَيِّئَةٌ لِأَنَّهَا تَسُوءُ مَنْ تَنْزِلُ بِهِ، قَالَ تَعَالَى :﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ ﴾ [النساء: ٧٨]

يُرِيدُ مَا يَسُوءُهُمْ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالْبَلَايَا[٢]، وَأَجَابَ غَيْرُهُ بِأَنَّهُ لَمَّا جَعَلَ أَحَدَهُمَا فِي مُقَابَلَةِ الْآخَرِ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ أُطْلِقَ اسْمُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ، والحق ما ذكره صاحب الكشاف) [٣]

و . **دفع الإشكال ببيان التوجيه البلاغي للآية القرآنية:** فقد يلتبس على البعض فهم معنى الآية بسبب توهم عدم اتفاقها مع القواعد البلاغية، وذلك كما في قوله تعالى:﴿ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥ ﴾ [الصافات: ٦٥] يقول الإمام الرازي:(فيه سؤال لأنه قيل إنا ما رأينا رؤوس الشياطين فكيف يمكن تشبيه شيء بها؟) [٤]وقد حل هذا الإشكال ببيان التوجيه البلاغي الذي يظهر صحة معنى الآية وجريانها على أعلى مراتب البلاغة حيث يقول الإمام الرازي : (إن الناس لما اعتقدوا في الملائكة كمال الفضل في الصورة والسيرة واعتقدوا في الشياطين

(١) تفسير الرازي (٢٧/٦٠٤).
(٢) الكشاف (٤/٢٢٩).
(٣) تفسير الرازي (٢٧/٦٠٤-٦٠٥) .
(٤) تفسير الرازي (٢٦/٣٣٧).

نِهَايَةَ الْقُبْحِ وَالتَّشْوِيهِ فِي الصُّورَةِ وَالسِّيرَةِ، فَكَمَا حَسُنَ التَّشْبِيهُ بِالْمَلَكِ عِنْدَ إِرَادَةِ تَقْرِيرِ الْكَمَالِ وَالْفَضِيلَةِ فِي قَوْلِهِ :﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: ٣١]

كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يَحْسُنَ التَّشْبِيهُ بِرُءُوسِ الشَّيَاطِينِ فِي الْقُبْحِ وَتَشْوِيهِ الْخِلْقَةِ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ التَّشْبِيهِ لَا بِالْمَحْسُوسِ بَلْ بِالْمُتَخَيَّلِ، كَأَنَّهُ قِيلَ إِنَّ أقبح الأشياء في الوهم والخيال هو رؤوس الشَّيَاطِينِ فَهَذِهِ الشَّجَرَةُ تُشْبِهُهَا فِي قُبْحِ النَّظَرِ وَتَشْوِيهِ الصُّورَةِ، وَالَّذِي يُؤَكِّدُ هَذَا أَنَّ الْعُقَلَاءَ إذا رَأَوْا شَيْئًا شَدِيدَ الِاضْطِرَابِ مُنْكَرَ الصُّورَةِ قَبِيحَ الْخِلْقَةِ، قَالُوا إِنَّهُ شَيْطَانٌ، وَإذا رَأَوْا شَيْئًا حَسَنَ الصُّورَةِ وَالسِّيرَةِ، قَالُوا إِنَّهُ مَلَكٌ) [١].

ز . **بيان التوجيه الإعرابي** : فتفسير الوجه الإعرابي الوارد في الآية وسيلة مهمة في دفع الإشكال مما يتوهم اصطدامه بقواعد النحو، يقول الإمام مكي ابن أبي طالب: (إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني وينجلي الإشكال)[٢].

ومن أمثلة الإشكالات التي تم حلها ببيان التوجيه الإعرابي ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة: ٨٩] يقول الإمام الرازي: (قرئ (مصدقًا) على الحال، فإن قيل: كيف جاز نصبها عن النكرة قلنا: إذا وصفت النكرة تخصصت فصح انتصاب الحال عنها، وقد وصف كتاب بقوله :﴿ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾) [٣]

حـ **الحل باستخدام أسلوب الاحتراس:** والمقصود بالاحتراس : أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه. [٤] وقد اعتمد عليه الإمام الرازي

---

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢) مشكل إعراب القرآن للكرماني (٦٣/١)ط مؤسسة الرسالة – بيروت .

(٣) تفسير الرازي (٥٩٨/٣).

(٤) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة . ت / عبد المتعال الصعيدي (٣٥٥/٢) ط مكتبة الآداب ١٤٢٦هـ .

في دفع بعض الإشكالات ، ومن ذلك في قوله تعالى:﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ﴾ [البقرة: ١٩٦] أورد الإمام الرازي إشكالا طعن به الملحدون في القرآن فقال: (أما قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ﴾ فقد طعن الملحدون لعنهم الله فيه من وجهين: أحدهما: أن المعلوم بالضرورة أن الثلاثة والسبعة عشرة فذكره يكون إيضاحًا للواضح) وقد دفع هذا الإشكال ببيان الفائدة من قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ﴾ وهي إزالة الوهم الذي قد ينشأ من اعتقاد كون الواو في ﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ ﴾ بمعنى أو فيضيع المراد ، فاحترس لذلك وأتى بما يدفع هذا التوهم فقال: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ﴾ يقول الإمام الرازي: (العلماء ذكروا أنواعا من الفوائد في هذا الكلام : الأول أن الواو في قوله: ﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ ﴾ ليس نصًا قاطعًا في الجمع ، بل قد تكون بمعنى أو كما في قوله:﴿ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ ﴾ [النساء: ٣]

وكما في قولهم: جالس الحسن وابن سيرين أي جالس هذا أو هذا، فالله تعالى ذكر قوله:﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ﴾ إزالة لهذا الوهم .) [١]

ط . استخدام التضمين: والتضمين معناه: أن يؤدي فعل أو ما في معناه مؤدى فعل آخر أو ما في معناه فيعطى حكمه في التعدية واللزوم.[٢]

وقد استعمله الإمام الرازي في حل بعض الإشكالات كما في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [النساء: ٨٧] يقول الإمام الرازي: (لقائل أن يقول : لم لم يقل ليجمعنكم في يوم القيامه؟) [٣]

---

(١) تفسير الرازي (٣١٠/٥)

(٢) النحو الوافي (١٦٩/٢-١٧٠).

(٣) تفسير الرازي (١٦٧/١٠).

وقد حل الإشكال بجوابين ثانيهما مفاده تضمين الفعل يجمعنكم معنى الفعل يضمنكم فقال:(والجواب من وجهين ..... : الثاني التقدير ليضمنكم إلى ذلك اليوم ويجمع بينكم وبينه بأن يجمعكم فيه). [١]

ي . **حل الإشكال بتقدير محذوف:** وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٖ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٦][٢]

ففيه إشكال بينه الإمام الرازي بقوله: (لقائل أن يقول: كيف قال له ﴿ قَالَ فَأْتِ ﴾ بعد قوله:﴿ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٖ ﴾ ؟) وقد دفع هذا الإشكال ببيان أن الجار والمجرور ﴿ بِـَٔايَةٖ ﴾ متعلق بمحذوف تقديره من عند من أرسلك ، وبذلك يزول الإشكال. يقول الإمام الرازي: (وجوابه إن كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتني بها وأحضرها عندي ليصح دعواك ويثبت صدقك). [٣]

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢) تفسير الرازي (٣٢٧/١٤).

(٣) المرجع السابق نفص الصفحة .

المطلب الثالث

الاعتماد على السياق

المقصود بالسياق : الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولا عليه بلفظ المتكلم أو حاله أو أحوال الكلام أو المتكلم فيه أو السامع. [١] ولا شك أن السياق له أهمية كبرى وأثر ظاهر في فهم كلام الله تعالى وبيان المعنى الصحيح في الآية. يقول العز بن عبد السلام: (السياق مرشد إلى تبين المجملات وترجيح المحتملات وتقرير الواضحات وكل ذلك بعرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحًا وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما.) [٢]

والسياق له دور كبير في دفع الإشكالات عن آيات القرآن ، ومن الأمثلة على ذلك ما روي أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺعن هذه الآية:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال: لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾ [المؤمنون: ٦١] فمن الواضح أن رسول اللهﷺ استعمل السياق في بيان أن الآية في المؤمنين الطائعين لا العصاة .

ويعتبر السياق من أهم الوسائل التي اعتمد عليها الإمام الرازي في دفع الكثير من الإشكالات وقد اتخذ ذلك عدة صور أسردها على النحو الآتي:

---

(١) دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسي – عليه السلام ص ٢٦–٢٧ رسالة ماجستير للباحث / فهد بن شتوي ، جامعة أم القري . الرقم الجامعي / ٤٢٣٨٠٢٩٧ .

(٢) الإمام في بيان أدلة الأحكام للغريب عبد السلام ص ١٥٩ ط دار البشائر الإسلامية – بيروت .

١-**الاعتماد على السياق في دفع الإشكال الناشئ عن عدم إدراك سر تردد الفعل بين البناء للمعلوم والبناء لما لم يسم فاعله:** وذلك كما في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ [البقرة: ٥٨] حيث يقول الإمام الرازي: (السؤال الأول: لم قال في سورة البقرة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ وقال في الأعراف (وإذ قيل لهم).؟) [١] وقد دفع الإمام الرازي هذا الإشكال ببيان أن السياق في سورة البقرة يقتضي الإتيان بالفعل مبنيًا للمعلوم ، يقول الإمام الرازي: (الجواب أن الله تعالى صرح في أول القرآن بأن قائل هذا القول هو الله تعالى إزالة للإبهام، ولأنه ذكر في أول الكلام﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠] ثم أخذ يعدد نعمه نعمة نعمة، فاللائق بهذا المقام أن يقول ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾أما في سوره الأعراف فلا يبقى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ﴾ إبهام بعد تقديم التصريح به في سورة البقرة.) [٢]

٢- **الاعتماد على السياق في دفع الإشكال الناشئ عن عدم إدراك سر تردد اللفظ بين الذكر والحذف:** وذلك كالإشكال الوارد في الآية السابقة: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة: ٥٨] وقد عبر عنه الإمام الرازي بقوله: (السؤال الخامس: لم ذكر قوله رغدًا في البقرة وحذفه في الأعراف؟) [٣]وقد حل هذا الإشكال معتمداً على السياق فقال (لما أسند الفعل إلى نفسه لا جرم ذكر معه الإنعام

(١) تفسير الرازي (٣/٥٢٦) .

(٢) تفسير الرازي (٣/٥٢٦). .

(٣) تفسير الرازي (٣/٥٢٦).

الأعظم وهو أن يأكلوا رغداً وفي الأعراف لما لم يسند الفعل إلى نفسه لم يذكر الإنعام الأعظم فيه). [١]

٣- **الاعتماد على السياق في الكشف عن سر التعاقب بين الكلمات:** وذلك كالإشكال الذي طرحه الإمام الرازي حول قوله تعالى:﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩ ﴾ [البقرة: ٥٩]

فقال: (لم قال في البقرة: ﴿ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴾ وفي الأعراف(بما كانوا يظلمون)) [٢] وقد اعتمد الإمام الرازي على السياق في دفع هذا الإشكال فقال:(لما بين في سورة البقرة كون ذلك الظلم فسقًا اكتفى بلفظ الظلم في سورة الأعراف لأجل ما تقدم من البيان في سورة البقرة والله أعلم). [٣]

٤- **الاعتماد على السياق في الكشف عن سر الترتيب في الآية:** ففي قوله تعالى في سورة مريم:﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ ﴾ [مريم: ٢٦] أشكل على البعض تقديم﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي ﴾ على﴿ وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ ﴾ على اعتبار أن مضرة الخوف أشد من مضرة الجوع والعطش ، فكان الأنسب تقديم ﴿ وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ ﴾ يقول الإمام الرازي موضحا الإشكال: (وها هنا سؤال: وَهُوَ أَنَّ مَضَرَّةَ الْخَوْفِ أَشَدُّ مِنْ مَضَرَّةِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا :أَنَّ الْخَوْفَ أَلَمُ الرُّوحِ وَالْجُوعَ أَلَمُ الْبَدَنِ وَأَلَمُ الرُّوحِ أَقْوَى مِنْ أَلَمِ الْبَدَنِ .وَالثَّانِي :مَا رُوِيَ أَنَّهُ أُجِيعَتْ شَاةٌ ثُمَّ قُدِّمَ الْعَلَفُ إِلَيْهَا وَرُبِطَ عِنْدَهَا

(١) تفسير الرازي (٥٢٦/٣).

(٢) إشارة إلى قوله تعالي : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴾ [الأعراف :١٦٢]

(٣) تفسير الرازي (٥٢٧/٣) .

ذِئْبٌ فَبَقِيَتِ الشَّاةُ مُدَّةً مَدِيدَةً لَا تَتَنَاوَلُ الْعَلَفَ مَعَ جُوعِهَا الشَّدِيدِ خَوْفًا مِنَ الذِّئْبِ ثُمَّ كُسِرَتْ رِجْلُهَا وَقُدِّمَ الْعَلَفُ إِلَيْهَا فَتَنَاوَلَتِ الْعَلَفَ مَعَ أَلَمِ البدن فدلت هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَلَى أَنَّ أَلَمَ الْخَوْفِ أَشَدُّ من ألم الْبَدَنِ .إذا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ :فَلِمَ قَدَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحِكَايَةِ دَفْعَ ضَرَرِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ عَلَى دَفْعِ ضَرَرِ الْخَوْفِ؟) [١] وقد دفع الإمام الرازي هذا الإشكال ببيان أن السياق أوضح أن الخوف عند السيدة مريم كان قليلاً بسبب بشارة سيدنا جبريل الواردة في قوله تعالى:﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ [مريم: ١٩ – ٢١]

وعليه قل خوفها فلم تكن هناك حاجة لتقديمه في الكلام. يقول الإمام الرازي دفعاً للإشكال: (والجواب أن هذا الخوف كان قليلًا لأن بشارة جبريل عليه السلام كانت قد تقدمت فما كانت تحتاج إلى التذكير مرة أخرى) [٢]

٥- **الاعتماد على السياق في بيان سر الألفاظ التي يتوهم عدم فائدتها:**

وذلك كما في قوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء: ٦٤]

حيث افترض الإمام الرازي إشكالا حول الفائدة من ذكر قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾ مع أن قوله:﴿ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ يكفي في حصول المقصود. يقول الإمام الرازي: (لقائل أن يقول: أليس لو استغفروا

(١) تفسير الرازي (٥٢٩/٢١).

(٢) المرجع السابق (٥٢٩/٢١).

الله وتابوا على وجه صحيح لكانت توبتهم مقبولة فما الفائدة في ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم ؟) [1] وقد جاء جوابه عن هذا الإشكال بعدة أمور، اعتمد في الأول والثاني على السياق حيث إن الآيات السابقة[2] أشارت إلى عدم رضاهم بحكم رسول اللهﷺ وذلك ذنب عظيم فكان كمال التوبة منهم أن يطلبوا استغفار الرسول لهم .يقول الإمام الرازي: (الجواب عنه من وجوه : الأول أَنَّ ذَلِكَ التَّحَاكُمَ إِلَى الطَّاغُوتِ كَانَ مُخَالَفَةً لِحُكْمِ اللَّه، وَكَانَ أَيْضًا إِسَاءَةً إِلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَإِدْخَالًا لِلْغَمِّ فِي قَلْبِهِ، وَمَنْ كَانَ ذَنْبُهُ كَذَلِكَ وَجَبَ عَلَيْهِ الِاعْتِذَارُ عَنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ لِغَيْرِهِ، فَلِهَذَا الْمَعْنَى وَجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَطْلُبُوا مِنَ الرَّسُولِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ .الثَّانِي :أَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا لَمْ يَرْضَوْا بِحُكْمِ الرَّسُولِ ظهر منهم ذلك التمرد، فَإِذا تَابُوا وَجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَفْعَلُوا مَا يُزِيلُ عَنْهُمْ ذَلِكَ التَّمَرُّدَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِأَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَطْلُبُوا مِنْهُ الِاسْتِغْفَارَ)[3]

٦- **الاعتماد على السياق في دفع الإشكال الناشئ عن عدم إدراك سر الجمل المعترضة:** وذلك كما في قوله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٧٣] حيث يقول الإمام الرازي: (لقائل أن يقول: لو كان التنزيل هكذا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّيا ليتني كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا كان النظم مستقيمًا حسناً، فكيف وقع

(١) تفسير الرازي (١٠/١٢٦).

(٢) إشارة إلى قوله تعالي ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾[النساء: ٦١]

(٣) تفسير الرازي (١٠/١٢٦) .

قوله: ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ ﴾ في البين؟) [١]وقد حل الإمام الرازي هذا الإشكال ببيان فائدة الجملة المعترضة معتمدًا على السياق المظهر لحال المنافق في تعامله مع المسلمين بالغم والحزن عند انتصارهم ، والفرح عند حلول المصيبة بهم ، ومثل هذا الصنيع لا يصدر إلا من عدو ، ومن هنا حسن الاعتراض بعبارة ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ ﴾ [٢].

المطلب الرابع
أدوات متنوعة

ويندرج تحتها ما يلي:

١- **الاعتماد على سبب النزول في دفع المشكل:** وذلك كما في قوله تعالى:﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٨] فقد أشكل علي البعض إعادة ذكر سيدنا جبريل وميكائيل مع إدراجهما في الملائكة،[٣]

وقد دفع الإمام الرازي هذا الإشكال معتمدًا على سبب النزول ، فقد روى البخاري عن سيدنا أنس رضي الله عنه قال: سمع عبد الله بن سلام بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف فأتى النبيﷺ فقال :إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ، فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة ؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو أمه ؟ قال: أخبرني بهن جبريل آنفًا. قال: جبريل. قال: نعم قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة ، فقرأ هذه الآية:﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ

(١) تفسير الرازي (١٣٩/١٠).
(٢) تفسير الرازي (١٣٩/١٠).
(٣) تفسير الرازي (٣*٦١٣) .

عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ٩٧ – ٩٨] [١] فإذا كانت الآية جاءت ردًا على اليهود بشأن موقفهم من سيدنا جبريل وميكائيل كان من المناسب النص على اسميهما في الآية . يقول الإمام الرازي: (الجواب أن الذي جرى بين الرسول واليهود هو ذكرهما، والآية إنما نزلت بسببهما فلا جرم نص على اسميهما). [٢]

٢- **جمع الآيات ذات الموضوع الواحد:** فقد يشكل على البعض فهم معنى الآية بسبب عدم استحضاره لبقية الآيات التي تتحدث عن نفس الموضوع .

وبالنظر في تفسير الإمام الرازي نجد أنه في بعض المواضع اعتمد في دفع الإشكال على جمع الآيات ذات الموضوع الواحد ، ومن ذلك: ما ورد في قوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣١] فهذه الآية يوهم ظاهرها قصر دخول النار على الكافرين ، ومن هنا حصل الإشكال إذ إنه من المعلوم أن بعض العصاة من غير الكفار يدخلون النار. يقول الإمام الرازي:(السؤال الثاني: ظاهر قوله : ﴿ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ يقتضي أنها ما أعدت إلا للكافرين ، وهذا يقتضي القطع بأن أحدا من المؤمنين لا يدخل النار وهو على خلاف سائر الآيات) [٣] وقد دفع الإمام الرازي هذا الإشكال عن طريق جمع الآيات التي تحدثت عن هذه القضية ، ومن خلال هذا الجمع ثبت أن الآية الأولى لا يقصد بها الحصر وإنما هي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب / الأنبياء . باب / قول الله تعالي ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾ (١٢١١/٣) ح (٣١٥١) .

(٢) تفسير الرازي (٦١٣/٣).

(٣) تفسير الرازي (٣٦٣/٩) .

إخبار عن أحد الأصناف التي أعدت النار لهم وهم الكافرون ، والآيات الأخرى بينت الأصناف الباقية يقول الإمام الرازي: (الوجه الثالث في الجواب: أَنَّ الْقُرْآنَ كَالسُّورَةِ الْوَاحِدَةِ فَهَذِهِ الْآيَةُ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ النَّارَ مُعَدَّةٌ لِلْكَافِرِينَ وَسَائِرُ الْآيَاتِ دَالَّةٌ أَيْضًا عَلَى أَنَّهَا مُعَدَّةٌ لِمَنْ سَرَقَ وَقَتَلَ وَزَنَى وَقَذَفَ، وَمِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَـــالَى:﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [الملك: ٨] وَلَيْسَ لِجَمِيعِ الْكُفَّارِ يُقَالُ ذَلِكَ، وَأَيْضًا قَالَ تعالى :﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾ [الشعراء: ٩٤] إلى قوله قَالَ تَعَالَى:﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٨] وَلَيْسَ هَذَا صِفَةَ جَمِيعِهِمْ وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الشَّرَائِطُ مَذْكُورَةً فِي سَائِرِ السُّوَرِ، كَانَتْ كَالْمَذْكُورَةِ هَاهُنَا، فَكَذَا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ) [(١)].

٣- **الاستدلال بالوقائع التاريخية:** ففي قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨]

يطرح الإمام الرازي إشكالا فيقول: (السؤال الثالث: الظاهر أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ رَدَّ هَذَا الدُّعَاءَ لَصَرَّحَ بِذَلِكَ الرَّدِّ فَلَمَّا لَمْ يُصَرِّحْ بِالرَّدِّ علمنا أنه أَجَابَهُ إِلَيْهِ، وَحِينَئِذٍ يَتَوَجَّهُ الْإِشْكَالُ، فَإِنَّ فِي زَمَانِ أَجْدَادِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ مُسْلِمًا، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ سِوَى الْعَرَبِ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) [(٢)]

وقد دفع هذا الإشكال نقلاً عن الإمام القفال بما ثبت في التاريخ من وجود من كان مسلمًا في زمان أجداد سيدنا محمدﷺ يقول الإمام الرازي: (والجواب: قال القفال أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي ذُرِّيَّتِهِمَا مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وحده ولا يشرك به

(١) تفسير الرازي (٣٦٤/٩) .

(٢) تفسير الرازي (٥٤/٥-٥٥) .

شيئاً، ولم تزال الرُّسُلُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَدْ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ :زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، وَقُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ، وَيُقَالُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ جَدُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَامِرُ بْنُ الظَّرِبِ كَانُوا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ يُقِرُّونَ بِالْإِبْدَاءِ وَالْإِعَادَةِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَيُوَحِّدُونَ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَا يَأْكُلُونَ الْمَيْتَةَ، وَلَا يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ) [1].

٤- **الكشف عن أوجه التناسب فيما يتوهم فيه عدم الانسجام:** فقد ذكرنا سابقًا أن من أسباب حصول الإشكال توهم عدم وجود تناسب بين الآيات أو في الآية الواحدة، وقد دفع الإمام الرازي هذا النوع من المشكل بإبراز أوجه التناسب، ومن ذلك في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الحج: ٦١]

فقد خفي على البعض وجه العلاقة بين هذه الآية والآية التي قبلها، وهي قوله تعالى:﴿ ۞ ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴾ [الحج: ٦٠]

يقول الإمام الرازي: (السؤال السادس: أي تعلق لقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ بما قبله؟) [2]وقد حل الإمام الرازي هذا الإشكال بابراز وجه التناسب، فقال: (والجواب مِنْ وَجْهَيْنِ :أَحَدُهُمَا :ذَلِكَ أَيْ ذَلِكَ النَّصْرُ بِسَبَبِ أَنَّهُ قَادِرٌ وَمِنْ آيَاتِ قُدْرَتِهِ الْبَالِغَةِ كَوْنُهُ خَالِقًا لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمُتَصَرِّفًا فِيهِمَا، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَالِمًا بِمَا يَجْرِي فِيهِمَا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ قَادِرًا عَلَى النَّصْرِ مُصِيبًا فِيهِ وَثَانِيهَا :الْمُرَادُ أَنَّهُ

(١) تفسير الرازي (٥٥/٤).

(٢) تفسير الرازي (٢٤٥/٢٣) .

سُبْحَانَهُ مَعَ ذَلِكَ النَّصْرِ يَنْعَمُ فِي الدُّنْيَا بِمَا يَفْعَلُهُ مِنْ تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَوُلُوجِ أَحَدِهِمَا فِي الْآخَرِ) [١].

٥- **إبراز فائدة الألفاظ والجمل التي يتوهم تكرارها:** ومن أمثلته: في قوله تعالى:﴿ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [الأنفال: ٨] يقول الإمام الرازي: (السؤال الأول: أليس أن قوله: ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [الأنفال: ٧] ثم قوله: بعد ذلك ﴿ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ ﴾ تكرير محض؟) [٢] وقد دفع هذا الإشكال ببيان الفائدة من قوله تعالى:﴿ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ ﴾ فقال: (والجواب ليس هاهنا تَكْرِيرٌ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَوَّلِ سَبَبُ مَا وَعَدَ بِهِ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ بِالْأَعْدَاءِ، وَالْمُرَادُ بِالثَّانِي تَقْوِيَةُ الْقُرْآنِ وَالدِّينِ وَنُصْرَةُ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ، لِأَنَّ الَّذِي وَقَعَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ بَدْرٍ بِالْكَافِرِينَ كَانَ سَبَبًا لِعِزَّةِ الدِّينِ وَقُوَّتِهِ، وَلِهَذَا السَّبَبِ قَرَنَهُ بِقَوْلِهِ :وَيُبْطِلَ الْباطِلَ الَّذِي هُوَ الشِّرْكُ، وَذَلِكَ فِي مُقَابَلَةِ الْحَقَّ الَّذِي هُوَ الدِّينُ وَالْإِيمَانُ) [٣]

٦- **إبراز فائدة الألفاظ التي يتوهم زيادتها:** وذلك كما في قوله تعالى:﴿ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [النحل: ٢٦] فقد أشكل على البعض قوله:﴿ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ ﴾ حيث إنه من المعلوم بداهة أن السقف لا يخر إلا من فوق[٤] وقد أجاب الإمام الرازي عن هذا الإشكال ببيان الفائدة من هذا التعبير، فقال:

(١) تفسير الرازي (٢٤٥/٢٣).
(٢) تفسير الرازي (٤٥٨/١٥).
(٣) تفسير الرازي (٤٥٨/١٥) .
(٤) تفسير الرازي (١٩٩/٢٠)

(وجوابه من وجهين الْأَوَّلُ :أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ التَّأْكِيدَ .وَالثَّانِي :رُبَّمَا خَرَّ السَّقْفُ، وَلَا يَكُونُ تَحْتَهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا قَالَ :فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ دَلَّ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا تَحْتَهُ، وَحِينَئِذٍ يُفِيدُ هَذَا الْكَلَامُ أَنَّ الْأَبْنِيَةَ قَدْ تَهَدَّمَتْ وَهُمْ مَاتُوا تَحْتَهَا) (١)

٧- **بيان زمن النزول:** فمن الطرق التي اعتمد عليها الإمام الرازي في دفع المشكل بيان تاريخ نزول الآية: وقد ورد ذلك في أثناء تفسيره لقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] فظاهر هذه الآية يفيد أن الله عز وجل يحفظ رسوله من كل أذى ، وهذا يتعارض في ظاهره مع ما ثبت في الحديث من أن رسول الله ﷺ شج وجهه وكسرت رباعيته يوم أحد، وقد دفع الإمام الرازي هذا الإشكال بجوابين ثانيهما: أن هذه الآية نزلت بعد غزوة أحد. (٢)

٨- **توضيح المعنى المقصود فيما يتوهم خفاء معناه:** وذلك كقوله تعالى:﴿ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴾ [الحاقة: ٣٢] فقد أشكل على البعض سلك الكافر في السلسلة. يقول الإمام الرازي: (سلك السلسلة فيهم معقول أما سلكهم في السلسلة فما معناه ؟) (٣) وقد أجاب الإمام الرازي عن هذا الإشكال ببيان المعنى المقصود فقال: (الجواب: سلكه في السلسلة أن تلوي على جسده حتى تلتف عليه أَجْزَاؤُهَا وَهُوَ فِيمَا بَيْنَهَا مُزْهَقٌ مُضَيَّقٌ عَلَيْهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى حَرَكَةٍ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ :الْمَعْنَى ثُمَّ اسْلُكُوا فِيهِ السِّلْسِلَةَ كَمَا يُقَالُ :أَدْخَلْتُ رَأْسِي فِي الْقَلَنْسُوَةِ

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .
(٢) تفسير الرازي (٤٠١/١٢).
(٣) المرجع السابق (٦٣١/٣٠).

وَأَدْخَلْتُهَا فِي رَأْسِي، وَيُقَالُ:الْخَاتَمُ لَا يَدْخُلُ فِي إِصْبَعِي، وَالْإِصْبَعُ هُوَ الَّذِي يَدْخُلُ فِي الْخَاتَمِ)[١]

٩- **الحل باستخدام القواعد الأصولية:** وذلك كما في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] فالآية هنا ترتب الإجابة على الدعاء في حين أن الواقع يشهد بأن الإنسان قد يدعو ولا يستجاب له ، وهنا يحدث الإشكال، [٢] ، وقد دفع الإمام الرازي هذا الإشكال بقوله: (والجواب أن هذه الآية وإن كانت مطلقة إلا أنه قد وردت آية أخرى مقيدة وهي قوله تعالى:﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنعام: ٤١] ولا شك أن المطلق محمول على المقيد). [٣]

وهنا نلاحظ أن الإمام حل هذا الإشكال معتمدًا على قاعدة أصولية مفادها وجوب حمل المطلق على المقيد في حالة اتحاد الحكم، [٤] ، وعليه فالإجابه مقيدة بمشيئة الله عز وجل، ومن هنا يزول الإشكال.

١٠- **حل الإشكال بالرجوع إلى الأصل في الاعتقاد فيما يتوهم تعارضه مع العقل:** وذلك كما في قوله تعالى:﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [البقرة: ٦٠]

فقد طرح الإمام الرازي إشكالا في هيئة سؤال ، فقال: (السؤال الثالث: كيف يعقل خروج المياه العظيمة من الحجر الصغير؟) [٥] وقد أجاب

---

(١) تفسير الرازي (٢٦٥/٥)

(٢) تفسير الرازي (٢٦٥/٥)

(٣) تفسير الرازي (٢٦٥/٥).

(٤) إيضاح المحصول من برهان الأصول للمازري ص٣٢٢ ط دار الغرب الإسلامي – تونس ط الأولي ، ١٤٢١هـ.

(٥) تفسير الرازي (٥٢٩/٣).

الإمام الرازي عن هذا الإشكال ببيان أن أصل الاعتقاد في ديننا الحنيف يقوم على وجوب الإيمان بأن الله عز وجل فاعل مختار، وقدرته مطلقة غير متناهية ، وعليه فلا يستحيل عليه إخراج المياه العظيمة من الحجر الصغير وغير ذلك من المعجزات ، يقول الإمام الرازي في حل الإشكال: (الجواب: هذا السائل إِمَّا أَنْ يُسَلِّمَ وُجُودَ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ أَوْ يُنْكِرَهُ، فَإِنْ سَلَّمَ فَقَدْ زَالَ السُّؤَالُ، لِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ الْجِسْمَ كَيْفَ شَاءَ كَمَا خَلَقَ الْبِحَارَ وَغَيْرَهَا، وَإِنْ نَازَعَ فَلَا فَائِدَةَ لَهُ فِي الْبَحْثِ عَنْ مَعْنَى الْقُرْآنِ وَالنَّظَرِ فِي تَفْسِيرِهِ، وَهَذَا هُوَ الْجَوَابُ عَنْ كُلِّ مَا يَسْتَبْعِدُونَهُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي حَكَاهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ) [1].

١١- **الكشف عن أسرار الترتيب في الآيات:** ذكرنا سابقا أن من بين أسباب حصول الإشكال عدم إدراك أسرار الترتيب في الآيات القرآنية لا سيما مع تقديم ما حقه التأخير أو تأخير ما حقه التقديم في ظاهر الكلام ، وقد قام الإمام الرازي في تفسيره بحل هذا النوع من المشكل ، وذلك بإبراز أسرار الترتيب وبيان الحكمة من تقديم بعض الألفاظ وتأخير الأخرى ، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]

فقد عرض الإمام الرازي إشكالا حول السر في تأخير الإيمان بالأنبياء عن الإيمان بالملائكة والكتب مع أن الظاهر يفيد أن الأنبياء هم الأصل في الوصول إلى الإيمان بالملائكة والكتب. يقول الإمام الرازي: (السؤال الأول: إِنَّهُ لَا طَرِيقَ لَنَا إِلَى الْعِلْمِ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ وَلَا إِلَى الْعِلْمِ بِصِدْقِ الْكُتُبِ إِلَّا بِوَاسِطَةِ صِدْقِ الرُّسُلِ فَإِذا كَانَ قَوْلُ الرُّسُلِ كَالْأَصْلِ فِي مَعْرِفَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالْكُتُبِ. فَلِمَ قَدَّمَ الْمَلَائِكَةَ وَالْكُتُبَ فِي الذكر على الرسل؟) [2] وقد دفع

(١) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٢) تفسير الرازي (٥/٢١٤-٢١٥) .

الإمام الرازي هذا الإشكال بالكشف عن سر هذا الترتيب الذي جاءت عليه الآية ، فبين أن الترتيب هنا باعتبار السبق في الوجود وليس بالاعتبار الذهني فقال: (الجواب أن الأمر وإن كان كما ذكرتموه في عقولنا وأفكارنا إلا أن ترتيب الوجود على العكس من ذلك ، لأن الملك يوجد أولا ثم يحصل بواسطة تبليغه نزول الكتب ، ثم يصل ذلك الكتاب إلى الرسول فالمراعى في هذه الآية ترتيب الوجود الخارجي لا ترتيب الاعتبار الذهني) [١] .

المبحث الرابع

سمات أسلوب الإمام الرازي في التعامل مع المشكل

يتميز أسلوب الإمام الرازي في التعامل مع المشكل بعدة أمور ، أجملها فيما يلي:

السمة الأولى

التزامه طريقة واضحة في إيراد الإشكال وحله

فبالتتبع لأسلوب الإمام الرازي في عرض الإشكال ودفعه نجده يتبع طريقة محددة واضحة يورد فيها الإشكال بشكل سهل ، ومرتب ترتيبًا منطقياً حيث إنه بعد عرض الآية محل الإشكال:

- نراه أولاً ينص على وجود الإشكال مستعملًا في ذلك صيغًا صريحة ، وأحيانًا غير صريحة إلا أن القرائن التي تحفها تؤكد على أن الإمام استعملها للدلالة على وجود إشكال.
- ثم بعد ذلك يحدد محله في الآية بالضبط .
- وبعد ذلك يقرر وجه الإشكال ويبين فلسفته التي ارتكز عليها.
- وفي الختام يقوم بدفعه معتمدًا على وجه واحد أو أكثر، وهذه الأوجه منها ما يعتمد فيها على قول غيره ومنها ما يكون باجتهاده الشخصي .

(١) المرجع السابق (٥/٢١٥).

هذه هي طريقة الإمام الرازي في العديد من المواضع التي أورد فيها إشكالات ، وإليك بعض الأمثلة التي تبرز هذه السمة:

١- في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ ﴾ [يوسف: ١٠٠] نجد الإمام الرازي ينص أولا على وجود الإشكال مبينًا محله ومستعملًا صيغة صريحة فيقول: (وأما قوله: ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ ﴾ ففيه إشكال) [١] ثم بعد ذلك نراه يقرر وجه الإشكال فيقول: (وذلك لأن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَبَا يُوسُفَ وَحَقُّ الْأُبُوَّةِ عَظِيمٌ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣] فَقَرَنَ حَقَّ الْوَالِدَيْنِ بِحَقِّ نَفْسِهِ، وَأَيْضًا أَنَّهُ كَانَ شَيْخًا، وَالشَّابُّ يَجِبُ عَلَيْهِ تَعْظِيمُ الشَّيْخِ.

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ :أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَكَابِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَيُوسُفُ وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا إِلَّا أَنَّ يَعْقُوبَ كَانَ أَعْلَى حَالًا مِنْهُ.

وَالْقَوْلُ الرَّابِعُ :أَنَّ جِدَّ يَعْقُوبَ وَاجْتِهَادَهُ فِي تَكْثِيرِ الطَّاعَاتِ أَكْثَرُ مِنْ جِدِّ يُوسُفَ وَلَمَّا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْجِهَاتُ الكثيرة فهذا يُوجِبُ أَنْ يُبَالِغَ يُوسُفُ فِي خِدْمَةِ يَعْقُوبَ فَكَيْفَ اسْتَجَازَ يُوسُفُ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ يَعْقُوبُ هَذَا تَقْرِيرُ السُّؤَالِ)[٢]

وبعد ذلك يبدأ الإمام الرازي في دفع الإشكال بعدة أوجه، فيقول: (والجواب عنه من وجوه، **الْوَجْهُ الْأَوَّلُ** :وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ عَطَاءٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُمْ خَرُّوا لَهُ أَيْ لِأَجْلِ وِجْدَانِهِ سَجَدَا للَّه تَعَالَى، وَحَاصِلُ الْكَلَامِ :أَنَّ ذَلِكَ السُّجُودَ كَانَ سُجُودًا لِلشُّكْرِ فَالْمَسْجُودُ لَهُ هُوَ اللَّه، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ السُّجُودَ إِنَّمَا كَانَ لِأَجْلِهِ وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ أَنَّ قَوْلَهُ :وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً مُشْعِرٌ بِأَنَّهُمْ صَعِدُوا ذَلِكَ السَّرِيرَ، ثُمَّ سَجَدُوا لَهُ،

(١) تفسير الرازي (٥١٠/١٨).

(٢) تفسير الرازي (٥١٠/١٨) .

وَلَوْ أَنَّهُمْ سَجَدُوا لِيُوسُفَ لَسَجَدُوا لَهُ قَبْلَ الصُّعُودِ عَلَى السَّرِيرِ لِأَنَّ ذَلِكَ أَدْخَلُ فِي التَّوَاضُعِ.

فَإِنْ قَالُوا :فَهَذَا التَّأْوِيلُ لَا يُطَابِقُ قوله :يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ وَالْمُرَادُ مِنْهُ قَوْلُهُ :﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤] قُلْنَا :بَلْ هَذَا مُطَابِقٌ وَيَكُونُ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ :وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ لِأَجْلِي أَيْ أَنَّهَا سَجَدَتْ للَّه لِطَلَبِ مَصْلَحَتِي وَلِلسَّعْيِ فِي إِعْلَاءِ مَنْصِبِي، وَإِذَا كَانَ هَذَا مُحْتَمَلًا سَقَطَ السُّؤَالُ .وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ مُتَعَيَّنٌ، لِأَنَّهُ لَا يُسْتَبْعَدُ مِنْ عَقْلِ يُوسُفَ وَدِينِهِ أَنْ يَرْضَى بِأَنْ يَسْجُدَ لَهُ أَبُوهُ مَعَ سَابِقَتِهِ فِي حُقُوقِ الْوِلَادَةِ وَالشَّيْخُوخَةِ وَالْعِلْمِ وَالدِّينِ وَكَمَالِ النُّبُوَّةِ.

<u>وَالْوَجْهُ الثَّانِي</u>: فِي الْجَوَابِ أَنْ يُقَالَ :إِنَّهُمْ جَعَلُوا يُوسُفَ كَالْقِبْلَةِ وَسَجَدُوا للَّه شُكْرًا لِنِعْمَةِ وِجْدَانِهِ .وَهَذَا التَّأْوِيلُ حَسَنٌ فَإِنَّهُ يُقَالُ :صَلَّيْتُ لِلْكَعْبَةِ كَمَا يُقَالُ : صَلَّيْتُ إِلَى الْكَعْبَةِ

<u>الْوَجْهُ الثَّالِثُ</u> : فِي الْجَوَابِ قَدْ يُسَمَّى التَّوَاضُعُ سُجُودًا

<u>الْوَجْهُ الرَّابِعُ</u>: فِي الْجَوَابِ أَنْ نَقُولَ :الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ :وَخَرُّوا لَهُ غَيْرُ عَائِدٍ إِلَى الْأَبَوَيْنِ لَا مَحَالَةَ، وَإِلَّا لَقَالَ :وَخَرُّوا لَهُ سَاجِدِينَ، بَلِ الضَّمِيرُ عَائِدٌ إِلَى إِخْوَتِهِ، وَإِلَى سَائِرِ مَنْ كَانَ يَدْخُلُ /عَلَيْهِ لِأَجْلِ التَّهْنِئَةِ) [(١)]

٢- في قوله تعالى:﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [طه: ٤٣] صرح الإمام الرازي بوجود الإشكال فقال: (قوله ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ خِطَابٌ مَعَ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَهَذَا مُشْكِلٌ) [(٢)] ثم بين وجه الإشكال فقال: (وهذا مشكل لأن هارون عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ حَاضِرًا هُنَاكَ وَكَذَلِكَ

(١) المرجع السابق (٥١١/١٨).

(٢) تفسير الرازي (٥٢/٢٢).

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ [طه: ٤٥]) [١]

ثم بعد ذلك بدأ في حل الإشكال فقال: (أجاب القفال عَنْهُ مِنْ وُجُوهٍ . أَحَدُهَا :أَنَّ الْكَلَامَ كَانَ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحْدَهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مَتْبُوعَ هَارُونَ فَجُعِلَ الْخِطَابُ مَعَهُ خِطَابًا مَعَ هَارُونَ وَكَلَامُ هَارُونَ عَلَى سَبِيلِ التَّقْدِيرِ فَالْخِطَابُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ وَإِنْ كَانَ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحْدَهُ إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى أَضَافَهُ إِلَيْهِمَا كَمَا فِي قَوْلِهِ :﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ [البقرة: ٧٢]

وَقَوْلِهِ :﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون: ٨]

وَحُكِيَ أَنَّ الْقَائِلَ هُوَ عَبْدُ اللَّه بْنُ أُبَيٍّ وَحْدَهُ .وَثَانِيهَا :يُحْتَمَلُ أَنَّ اللَّه تَعَالَى لما قال :قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى سَكَتَ حَتَّى لَقِيَ أَخَاهُ، ثُمَّ إِنَّ اللَّه تَعَالَى خَاطَبَهُمَا بِقَوْلِهِ :اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ .وَثَالِثُهَا :أَنَّهُ حُكِيَ أَنَّهُ فِي مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَحَفْصَةَ :قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَيْ قَالَ مُوسَى :أَنَا وَأَخِي نَخَافُ فِرْعَوْنَ) [٢] .

هذا ومما تنبغي الإشارة إليه أن الإمام الرازي في بعض المواضع وهي قليلة جدًا قد يخرج عن هذا الأسلوب الذي اتبعه في إيراد الإشكال، حيث إنه أحيانًا يستغني عن بعض العناصر ولا يذكرها، ومن ذلك مثلاً :

– في بعض المواضع يأتي بحل الإشكال دون أن ينبه عليه أو يصرح بوجوده، وذلك كما في قوله تعالى حكاية عن الكفار يوم القيامة:﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠] فهنا إشكال

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢) تفسير الرازي (٥٢/٢٢)

مشهور [١] لم يفصح عنه الإمام الرازي ، حيث إن ظاهر الآية يفيد تحسر الكفار على عدم امتلاكهم في الدنيا للسمع والعقل ، وهذا بدوره يتناقض مع ما ثبت يقينا من أنهم في الدنيا كانوا يسمعون ويعقلون ، وهذا ما نصت عليه آيات أخرى ، يقول تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ﴾ [الأحقاف: ٢٦] ويقول أيضًا:﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا ﴾ [الطور: ٣٢] والإمام الرازي وإن لم يصرح بهذا الإشكال إلا أنه قد دفعه ببيان أن المنفي سمع خاص وعقل خاص ، (فَانْتِفَاءُ السَّمْعِ بِإِعْرَاضِهِمْ عَنْ تَلَقِّي دَعْوَةِ الرُّسُلِ مِثْلُ مَا حَكَى اللَّهُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ ﴾ [فصلت: ٢٦] وَانْتِفَاءُ الْعَقْلِ بِتَرْكِ التَّدَبُّرِ فِي آيَاتِ الرُّسُلِ وَدَلَائِلِ صِدْقِهِمْ فِيمَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ) [٢] يقول الإمام الرازي: (هذا هو الكلام الثَّانِي مِمَّا حَكَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْكُفَّارِ جَوَابًا لِلْخَزَنَةِ حِينَ قَالُوا﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [الملك: ٨]وَالْمَعْنَى لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ الْإِنْذَارَ سَمَاعَ مَنْ كَانَ طَالِبًا لِلْحَقِّ أَوْ نَعْقِلُهُ عَقْلَ مَنْ كَانَ مُتَأَمِّلًا مُتَفَكِّرًا لَمَا كُنَّا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) [٣]

-كذلك في بعض المواضع يذكر الإمام الرازي الإشكال ويتركه دون حل ، وهذا قليل جدا ويكاد يكون نادرا ، ومن المواضع التي وقعت عليها: في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣] يقول الإمام الرازي:(فإن قيل جعل هذا الْكَلَامِ كَلَامًا لِيُوسُفَ أَوْلَى أَمْ جَعْلُهُ كَلَامًا لِلْمَرْأَةِ؟ قُلْنَا :جَعْلُهُ كَلَامًا لِيُوسُفَ مُشْكِلٌ، لِأَنَّ قَوْلَهُ :﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن

(١) أشار إليه الشنقيطي في كتابه / دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب ص٣٢٤ ط دار عالم الفوائد ط الأولي ١٤٢٦هـ .

(٢) التحرير والتنوير (٢٧/٢٩) .

(٣) تفسير الرازي (٥٨٨/٣٠) .

نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يوسف: ٥١] كَلَامٌ مَوْصُولٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ إِلَى آخِرِهِ، فَالْقَوْلُ بِأَنَّ بَعْضَهُ كَلَامُ الْمَرْأَةِ وَالْبَعْضَ كَلَامُ يُوسُفَ مَعَ تَخَلُّلِ الْفَوَاصِلِ الْكَثِيرَةِ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ وَبَيْنَ الْمَجْلِسَيْنِ بِعِيدٌ، وَأَيْضًا جَعْلُهُ كَلَامًا لِلْمَرْأَةِ مُشْكِلٌ أَيْضًا، لِأَنَّ قَوْلَهُ :وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي كَلَامٌ لَا يَحْسُنُ صُدُورُهُ إِلَّا مِمَّنِ احْتَرَزَ عَنِ الْمَعَاصِي، ثُمَّ يُذْكَرُ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى سَبِيلِ كَسْرِ النَّفْسِ، وَذَلِكَ لَا يَلِيقُ بِالْمَرْأَةِ الَّتِي اسْتَفْرَغَتْ جُهْدَهَا فِي الْمَعْصِيَةِ) [(١)]

فهنا نلحظ أن الإمام الرازي عرض الإشكال ولم يعقب عليه بالجواب، حيث إنه انتقل مباشرة إلى مسألة أخرى فقال: (المسألة الثانيه: قَالُوا (مَا) فِي قَوْلِهِ :إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي بِمَعْنَى "مَنْ" وَالتَّقْدِيرُ....) [(٢)(٣)]

السمة الثانية

إلمامه الواسع بكافة الأسئلة المشكلة المتعلقة بالآية

فبالنظر في مواضع الإشكال الواردة في تفسير الإمام الرازي نلحظ سمة ظاهرة ، وهي أن الإمام الرازي لديه مقدرة عظيمة على جمع كل ما يتعلق بالآية من أسئلة محيرة ، وهذه السمة يشهد لها ما يلي:

١- **تعدد الإشكالات التي يوردها في نفس الآية:** وذلك كما في قوله تعالى:﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ ﴾ [النساء: ١٥٧]

فقد أورد فيه إشكالات ستة فقال: (في إلقاء شبهه على الغير إشكالات:

الإشكال الْأَوَّلُ : أَنَّا لَوْ جَوَّزْنَا إِلْقَاءَ شَبَهِ إِنْسَانٍ عَلَى إِنْسَانٍ آخَرَ لَزِمَ السَّفْسَطَةُ، فَإِنِّي إِذَا رَأَيْتُ وَلَدِي ثُمَّ رَأَيْتُهُ ثَانِيًا فَحِينَئِذٍ أُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الَّذِي رَأَيْتُهُ ثَانِيًا لَيْسَ بِوَلَدِي بَلْ هُوَ إِنْسَانٌ أُلْقِيَ شَبَهُهُ عَلَيْهِ وَحِينَئِذٍ يَرْتَفِعُ الْأَمَانُ عَلَى

(١) تفسير الرازي (١٨/٤٧٠).

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) وقد حل الإمام ابن عطية هذا الإشكال في تفسيره (٣/٢٥٤).

الْمَحْسُوسَاتِ، وَأَيْضًا فَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ رَأَوْا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ وَجَبَ أَنْ لَا يَعْرِفُوا أَنَّهُ مُحَمَّدٌ لِاحْتِمَالِ أَنَّهُ أُلْقِيَ شَبَهُهُ عَلَى غَيْرِهِ وَذَلِكَ يُفْضِي إِلَى سُقُوطِ الشَّرَائِعِ، وَأَيْضًا فَمَدَارُ الْأَمْرِ فِي الْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمُخْبِرُ الْأَوَّلُ إِنَّمَا أَخْبَرَ عَنِ الْمَحْسُوسِ، فَإِذَا جَازَ وُقُوعُ الْغَلَطِ فِي الْمُبْصَرَاتِ كَانَ سُقُوطُ خَبَرِ الْمُتَوَاتِرِ أَوْلَى وَبِالْجُمْلَةِ فَفَتْحُ هَذَا الْبَابِ أَوَّلُهُ سَفْسَطَةٌ وَآخِرُهُ إِبْطَالُ النُّبُوَّاتِ بِالْكُلِّيَّةِ.

وَالإشكال الثَّانِي_:وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ قَدْ أَمَرَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنْ يَكُونَ مَعَهُ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ، هَكَذَا قَالَهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ:﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [المائدة: ١١٠]

ثُمَّ إِنَّ طَرَفَ جَنَاحٍ وَاحِدٍ مِنْ أَجْنِحَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَكْفِي الْعَالَمَ مِنَ الْبَشَرِ فَكَيْفَ لَمْ يَكْفِ فِي مَنْعِ أُولَئِكَ الْيَهُودِ عَنْهُ؟ وَأَيْضًا أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا كَانَ قَادِرًا عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَهِ وَالْأَبْرَصِ، فَكَيْفَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِمَاتَةِ أُولَئِكَ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَصَدُوهُ بِالسُّوءِ وَعَلَى إِسْقَامِهِمْ وَإِلْقَاءِ الزَّمَانَةِ وَالْفَلَجِ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَصِيرُوا عَاجِزِينَ عَنِ التَّعَرُّضِ لَهُ؟

وَالإشكال الثَّالِثُ_:أَنَّهُ تَعَالَى كَانَ قَادِرًا عَلَى تَخْلِيصِهِ مِنْ أُولَئِكَ الْأَعْدَاءِ بِأَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَمَا الْفَائِدَةُ فِي إِلْقَاءِ شَبَهِهِ عَلَى غَيْرِهِ، وَهَلْ فِيهِ إِلَّا إِلْقَاءُ مِسْكِينٍ فِي الْقَتْلِ مِنْ غَيْرِ فَائِدَةٍ إِلَيْهِ؟.

وَالإشكال الرَّابِعُ :أَنَّهُ إِذَا أُلْقِيَ شَبَهُهُ عَلَى غَيْرِهِ ثُمَّ إِنَّهُ رُفِعَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى السَّمَاءِ فَالْقَوْمُ اعْتَقَدُوا فِيهِ أَنَّهُ هُوَ عِيسَى مَعَ أَنَّهُ مَا كَانَ عِيسَى، فَهَذَا كَانَ إِلْقَاءً لَهُمْ فِي الْجَهْلِ وَالتَّلْبِيسِ، وَهَذَا لَا يَلِيقُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَالإشكال الْخَامِسُ :أَنَّ النَّصَارَى عَلَى كَثْرَتِهِمْ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَشِدَّةِ مَحَبَّتِهِمْ لِلْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَغُلُوِّهِمْ فِي أَمْرِهِ أَخْبَرُوا أَنَّهُمْ شَاهَدُوهُ مَقْتُولًا مَصْلُوبًا، فَلَوْ أَنْكَرْنَا ذَلِكَ كَانَ طَعْنًا فِيمَا ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ، وَالطَّعْنُ فِي التَّوَاتُرِ يُوجِبُ الطَّعْنَ فِي نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنُبُوَّةِ عِيسَى، بَلْ فِي وُجُودِهِمَا، وَوُجُودِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكُلُّ ذَلِكَ بَاطِلٌ.

وَالإشكال السَّادِسُ :أَنَّهُ ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ أَنَّ الْمَصْلُوبَ بَقِيَ حَيًّا زَمَانًا طَوِيلًا، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عِيسَى بَلْ كَانَ غَيْرَهُ لَأَظْهَرَ الْجَزَعَ، وَلَقَالَ :إِنِّي لَسْتُ بِعِيسَى بَلْ إِنَّمَا أَنَا غَيْرُهُ، وَلَبَالَغَ فِي تَعْرِيفِ هَذَا الْمَعْنَى، وَلَوْ ذُكِرَ ذَلِكَ لَاشْتَهَرَ عِنْدَ الْخَلْقِ هَذَا الْمَعْنَى، فَلَمَّا لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا عَلِمْنَا أَنْ لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْتُمْ) [1]

وبعد أن عرض هذه الإشكالات قام بدفعها الواحد تلو الآخر، فقال: (فهذا جملة ما في الموضع من السؤالات ، والجواب عن الأول....) [2]

٢- **استيفاء أوجه الإشكال:** فالإمام الرازي لا يكتفي بعرض الإشكال فقط بل إنه يفسره ويأتي بكافة أوجهه الممكنة، ومن المواضع الدالة على ذلك: في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ ﴾ [يوسف: ١٠٠] طرح الإمام الرازي إشكالا مفاده: كيف استجاز سيدنا يوسف لنفسه أن يسجد له نبي الله يعقوب مع أن سيدنا يعقوب أعلى رتبة منه، وقد قرر الإمام الرازي هذا الإشكال بأربعة أوجه، فقال: (وأما قوله: ﴿ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ ﴾ فَفِيهِ إشكال ، وَذَلِكَ لِأَنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَبَا يُوسُفَ وَحَقُّ الْأُبُوَّةِ عَظِيمٌ قَالَ تَعَالَى :﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣] فَقَرَنَ حَقَّ الْوَالِدَيْنِ بِحَقِّ نَفْسِهِ، وَأَيْضًا أَنَّهُ كَانَ شَيْخًا، وَالشَّابُّ يَجِبُ عَلَيْهِ تَعْظِيمُ الشَّيْخِ.

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ :أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَكَابِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَيُوسُفُ وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا إِلَّا أَنَّ يَعْقُوبَ كَانَ أَعْلَى حَالًا مِنْهُ.

(١) تفسير الرازي (٢٣٩/٨-٢٤٠) .

(٢) المرجع السابق (٢٤٠/٨).

وَالْقَوْلُ الرَّابِعُ :أَنَّ جِدَّ يَعْقُوبَ وَاجْتِهَادَهُ فِي تَكْثِيرِ الطَّاعَاتِ أَكْثَرُ مِنْ جِدِّ يُوسُفَ وَلَمَّا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْجِهَاتُ الكثيرة فهذا يُوجِبُ أَنْ يُبَالِغَ يُوسُفُ فِي خِدْمَةِ يَعْقُوبَ فَكَيْفَ اسْتَجَازَ يُوسُفُ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ يَعْقُوبُ هَذَا تَقْرِيرُ السُّؤَالِ) (١)

وبعد ذلك قام الإمام الرازي بالجواب التفصيلي عن هذا الإشكال ، فقال: (والجواب عنه من وجوه....) (٢)

٣- **تدعيم وجه الإشكال بذكر الشاهد والمثال:** وذلك كما في قوله تعالى في قصة السيدة مريم: ﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ ﴾ [مريم: ٢٦] يقول الإمام الرازي: (وها هنا سؤال وهو أن مضرة الخوف أَشَدُّ مِنْ مَضَرَّةِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَمْرَانِ :أَحَدُهُمَا :أَنَّ الْخَوْفَ أَلَمُ الرُّوحِ وَالْجُوعَ أَلَمُ الْبَدَنِ وَأَلَمُ الرُّوحِ أَقْوَى مِنْ أَلَمِ الْبَدَنِ .وَالثَّانِي :مَا رُوِيَ أَنَّهُ أُجِيعَتْ شَاةٌ ثُمَّ قُدِّمَ الْعَلَفُ إِلَيْهَا وَرُبِطَ عِنْدَهَا ذِئْبٌ فَبَقِيَتِ الشَّاةُ مُدَّةً مَدِيدَةً لَا تَتَنَاوَلُ الْعَلَفَ مَعَ جُوعِهَا الشَّدِيدِ خَوْفًا مِنَ الذِّئْبِ ثُمَّ كُسِرَتْ رِجْلُهَا وَقُدِّمَ الْعَلَفُ إِلَيْهَا فَتَنَاوَلَتِ الْعَلَفَ مَعَ أَلَمِ البدن فدلت هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَلَى أَنَّ أَلَمَ الْخَوْفِ أَشَدُّ من ألم الْبَدَنِ .إِذَا ثَبَتَ هَذَا فَنَقُولُ :فَلِمَ قَدَّمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحِكَايَةِ دَفْعَ ضَرَرِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ عَلَى دَفْعِ ضَرَرِ الْخَوْفِ) (٣)

فهنا نجد أن الإمام الرازي أكد المنطق الذي قام عليه الإشكال بشاهدين قويين يفيدان أولوية تقديم دفع ضرر الخوف على دفع ضرر الجوع والعطش ، وبعد تدعيم الإشكال بالمثال أجاب عنه الإمام الرازي كما مر معنا عند ذكر أدوات دفع الإشكال.

(١) تفسير الرازي (٥١٠/١٨)

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) تفسير الرازي (٥٢٨/٢١-٥٢٩).

السمة الثالثة

اهتمامه الواضح بدفع الإشكال وإبطاله من كل وجه

فبالنظر في تعامل الإمام الرازي مع الإشكال نجد أنه يستفرغ كل جهده في سبيل إزالته ويشهد لذلك عدة أمور:

أولها: تعدد أوجه الحل: فالإمام الرازي غالبًا لا يكتفي بوجه واحد في إزالة الإشكال، وإنما يذكر عدة أوجه ، وذلك حتى لا يدع ثغرة يمكن أن يوجه منها طعن للآية القرآنية ، ومن أمثلة ذلك: في قوله تعالى:﴿ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] يقول الإمام الرازي : (قوله : ﴿ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ ﴾ فِيهِ إشكال ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إذَا كَانَ قَدِ اسْتَوْفَى كُلَّ مَا يَلْزَمُهُ فِي تَمَامِ الْحَجِّ، فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ :فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ فَإِنَّ هَذَا اللَّفْظَ إِنَّمَا يُقَالُ فِي حَقِّ الْمُقَصِّرِ وَلَا يُقَالُ فِي حَقِّ مَنْ أَتَى بِتَمَامِ الْعَمَلِ)[1]

وبعد أن عرض الإمام الرازي هذا الإشكال وقرر وجهه ، بدأ في حله مستخدما ستة أوجه كاملة، فقال رحمه الله : (والجواب من وجوه أَحَدُهَا :أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَذِنَ فِي التَّعَجُّلِ عَلَى سَبِيلِ الرُّخْصَةِ احْتَمَلَ أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِ قَوْمٍ أَنَّ مَنْ لَمْ يَجْرِ عَلَى مُوجَبِ هَذِهِ الرُّخْصَةِ فَإِنَّهُ يَأْثَمُ، أَلَا تَرَى أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ :الْقَصْرُ عَزِيمَةٌ، وَالْإِتْمَامُ غَيْرُ جَائِزٍ، فَلَمَّا كَانَ هَذَا الِاحْتِمَالُ قَائِمًا، لَا جَرَمَ أَزَالَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الشُّبْهَةَ وَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا إِثْمَ فِي الْأَمْرَيْنِ، فَإِنْ شَاءَ اسْتَعْجَلَ وَجَرَى عَلَى مُوجَبِ الرُّخْصَةِ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَسْتَعْجِلْ وَلَمْ يَجْرِ عَلَى مُوجَبِ الرُّخْصَةِ، وَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فِي الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا وَثَانِيهَا :قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ : إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَتَعَجَّلُ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَتَأَخَّرُ، ثُمَّ كَلٌّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ يَعِيبُ عَلَى الْآخَرِ فِعْلَهُ، كَانَ الْمُتَأَخِّرُ يَرَى أَنَّ التَّعَجُّلَ مُخَالَفَةٌ لِسُنَّةِ الْحَجِّ، وَكَانَ الْمُتَعَجِّلُ يَرَى أَنَّ التَّأَخُّرَ مُخَالَفَةٌ لِسُنَّةِ الْحَجِّ، فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا عَيْبَ فِي

(١) تفسير الرازي (٣٤٢/٥).

وَاحِدٍ مِنَ الْقِسْمَيْنِ وَلَا إِثْمَ، فَإِنْ شَاءَ تَعَجَّلَ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَتَعَجَّلْ وَثَالِثُهَا :أَنَّ الْمَعْنَى فِي إِزَالَةِ الْإِثْمِ عَنِ الْمُتَأَخِّرِ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ زَادَ عَلَى مَقَامِ الثَّلَاثِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ :إِنَّ أَيَّامَ مِنَى الَّتِي يَنْبَغِي الْمُقَامُ بِهَا هِيَ ثَلَاثٌ، فَمَنْ نَقَصَ عَنْهَا فَتَعَجَّلَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْهَا فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ، وَمَنْ زَادَ عَلَيْهَا فَتَأَخَّرَ عَنِ الثَّالِثِ إِلَى الرَّابِعِ فَلَمْ يَنْفُرْ مَعَ عَامَّةِ النَّاسِ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ وَرَابِعُهَا :أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ إِنَّمَا ذُكِرَ مُبَالَغَةً فِي بَيَانِ أَنَّ الْحَجَّ سَبَبٌ لِزَوَالِ الذُّنُوبِ وَتَكْفِيرِ الْآثَامِ وَهَذَا مِثْلُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَنَاوَلَ التِّرْيَاقَ، فَالطَّبِيبُ يَقُولُ لَهُ :الْآنَ إِنْ تَنَاوَلْتَ السُّمَّ فَلَا ضَرَرَ، وَإِنْ لَمْ تَتَنَاوَلْ فَلَا ضَرَرَ، مَقْصُودُهُ مِنْ هَذَا بَيَانُ أَنَّ التِّرْيَاقَ دَوَاءٌ كَامِلٌ فِي دَفْعِ الْمَضَارِّ، لَا بَيَانَ أَنَّ تناول السم وعدم تناوله يجريان مجرى واحد، فكذا هاهنا الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ بَيَانُ الْمُبَالَغَةِ فِي كَوْنِ الْحَجِّ مُكَفِّرًا لِكُلِّ الذُّنُوبِ، لَا بَيَانُ أَنَّ التَّعَجُّلَ وَتَرْكَهُ سِيَّانِ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى كونه الْحَجِّ سَبَبًا /قَوِيًّا فِي تَكْفِيرِ الذُّنُوبِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ«:مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(١)

وَخَامِسُهَا :أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ قَالُوا :الْجِوَارُ مَكْرُوهٌ، لِأَنَّهُ إِذَا جَاوَرَ الْحَرَمَ وَالْبَيْتَ سَقَطَ وَقْعُهُ عَنْ عَيْنِهِ، وَإِذَا كَانَ غَائِبًا ازْدَادَ شَوْقُهُ إِلَيْهِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ احْتَمَلَ أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِ أَحَدِنَا عَلَى هَذَا الْمَعْنَى أَنَّ مَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَحَالُهُ أَفْضَلُ ممن لم يتعجل، وأيضا من تعجل في يومين فقد انصرف إلى مكة لطواف الزيارة وترك المقام بمنى، ومن لَمْ يَتَعَجَّلْ فَقَدِ اخْتَارَ الْمَقَامَ بِمِنًى وَتَرَكَ الِاسْتِعْجَالَ فِي الطَّوَافِ فَلِهَذَا السَّبَبِ يَبْقَى فِي الْخَاطِرِ تَرَدُّدٌ فِي أَنَّ الْمُتَعَجِّلَ أَفْضَلُ أَمِ الْمُتَأَخِّرَ؟ فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا إِثْمَ وَلَا حَرَجَ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَسَادِسُهَا :قَالَ الْوَاحِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :إِنَّمَا قَالَ :وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِتَكُونَ اللَّفْظَةُ الْأُولَى مُوَافِقَةً لِلثَّانِيَةِ، كَقَوْلِهِ :﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب / الحج . باب / فضل الحج المبرور (٢/٥٥٣) ح (١٤٤٩).

[الشورى: ٤٠] وَقَوْلُهُ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ [البقرة: ١٩٤] وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ جَزَاءَ السَّيِّئَةِ وَالْعُدْوَانِ لَيْسَ بِسَيِّئَةٍ وَلَا بِعُدْوَانٍ، فَإِذَا حَمَلَ عَلَى مُوَافَقَةِ اللَّفْظِ مَا لَا يَصِحُّ فِي الْمَعْنَى، فَلِأَنْ يَحْمِلَ عَلَى مُوَافَقَةِ اللَّفْظِ مَا يَصِحُّ فِي الْمَعْنَى أَوْلَى، لِأَنَّ الْمَبْرُورَ الْمَأْجُورَ يَصِحُّ فِي الْمَعْنَى نَفْيُ الْإِثْمِ عَنْهُ) (١)

ثانيها: تنوع طريقة الحل: فالإمام الرازي لا يقتصر على أداة واحدة في حل الإشكال ، وإنما يذكر أكثر من أداة ، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ﴾ [الأنعام: ٩٣] فقد أشكل على البعض قول الملائكة للكفار ﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ﴾ حيث إنه لا قدرة لهم على إخراج أرواحهم من أجسادهم وعليه فما الفائدة في هذا الكلام؟)(٢) وقد أجاب الإمام الرازي بعدة أوجه مستخدمًا فيها أدوات ثلاث ، وهي:

١- الكشف عن متعلق اللفظ القرآني: يقول الإمام الرازي: (المعنى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴾ عند نزول الموت بهم فِي الدُّنْيَا ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ ﴾ لِقَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ يَقُولُونَ لَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ هَذِهِ الشَّدَائِدِ وَخَلِّصُوهَا مِنْ هَذِهِ الْآفَاتِ وَالْآلَامِ) (٣)

فهنا نلحظ أن الإمام الرازي حل الإشكال ببيان متعلق قوله:﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ﴾ فليس المقصود ﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ﴾ من أجسادكم ، وإنما المراد ﴿ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ﴾ مما حل بها من الشدائد .

(١) تفسير الرازي (٣٤٢/٥) .
(٢) تفسير الرازي (٦٨/١٣).
(٣) تفسير الرازي (٦٨/١٣).

٢- استخدام أسلوب الكناية: حيث يقول الإمام الرازي: (هذه اللفظة – يقصد ﴿ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ﴾ – كناية عن شدة حَالِهِمْ وَأَنَّهُمْ بَلَغُوا فِي الْبَلَاءِ وَالشِّدَّةِ إِلَى حَيْثُ تَوَلَّى بِنَفْسِهِ إِزْهَاقَ رُوحِهِ) [١]

٣- حمل اللفظ على المجاز: فقد ذهب الإمام الرازي إلى أن الأمر في قوله : ﴿ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ﴾ ليس على حقيقته ، وإنما المقصود به التقريع والوعيد يقول رحمه الله: (قوله:﴿ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ﴾ ليس بأمر بَلْ هُوَ وَعِيدٌ وَتَقْرِيعٌ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ : امْضِ الْآنَ لِتَرَى مَا يَحِلُّ بِكَ .قَالَ الْمُفَسِّرُونَ :إِنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ تَنْشَطُ فِي الْخُرُوجِ لِلِقَاءِ رَبِّهِ وَنَفْسَ الْكَافِرِ تَكْرَهُ ذَلِكَ فَيَشُقُّ عَلَيْهَا الْخُرُوجُ، لِأَنَّهَا تَصِيرُ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ) [٢]

ثالثها: تكميل بعض أوجه الحل وتدعيمها بذكر ما يشهد لها: وذلك كما في قوله تعالى حكاية لقول إبليس:﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف: ١٧] ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ إشكال، وهو أن هذا من باب الغيب فكيف عرف إبليس ذلك؟ [٣] وقد أجاب عنه الإمام الرازي بقوله: (قال بعضهم كَانَ قَدْ رَآهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فَقَالَ لَهُ عَلَى سَبِيلِ الْقَطْعِ وَالْيَقِينِ وَقَالَ آخَرُونَ :إِنَّهُ قَالَهُ عَلَى سَبِيلِ الظَّنِّ لِأَنَّهُ كَانَ عَازِمًا عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي تَزْيِينِ الشَّهَوَاتِ وَتَحْسِينِ الطَّيِّبَاتِ وَعَلِمَ أَنَّهَا أَشْيَاءُ يَرْغَبُ فِيهَا غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُمْ يَقْبَلُونَ قَوْلَهُ فِيهَا عَلَى سَبِيلِ الْأَكْثَرِ) [٤] وهذا الوجه الأخير قد دعمه الإمام الرازي بما يشهد له فقال: (للنفس تسع عشرة قوة وَكُلُّهَا تَدْعُو النَّفْسَ إِلَى اللَّذَّاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَالطَّيِّبَاتِ الشَّهْوَانِيَّةِ فَخَمْسَةٌ مِنْهَا هِيَ الْحَوَاسُّ الظَّاهِرَةُ وَخَمْسَةٌ

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .
(٢) تفسير الرازي (٦٨/١٣).
(٣) تفسير الرازي (٢١٥/١٤)
(٤) تفسير الرازي (٢١٥/١٤).

أُخْرَى هِيَ الْحَوَاسُّ الْبَاطِنَةُ وَاثْنَانِ الشَّهْوَةُ وَالْغَضَبُ وَسَبْعَةٌ هِيَ الْقُوَى الْكَامِنَةُ وَهِيَ الْجَاذِبَةُ وَالْمَاسِكَةُ وَالْهَاضِمَةُ وَالدَّافِعَةُ وَالْغَاذِيَةُ وَالنَّامِيَةُ وَالْمُوَلِّدَةُ فَمَجْمُوعُهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَهِيَ بِأَسْرِهَا تَدْعُو النَّفْسَ إِلَى عَالَمِ الْجِسْمِ وَتُرَغِّبُهَا فِي طَلَبِ اللَّذَّاتِ الْبَدَنِيَّةِ وَأَمَّا الْعَقْلُ فَهُوَ قُوَّةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الَّتِي تَدْعُو النَّفْسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَطَلَبَ السَّعَادَاتِ الرُّوحَانِيَّةِ وَلَا شَكَّ أَنَّ اسْتِيلَاءَ تِسْعَ عَشْرَةَ قُوَّةً أَكْمَلُ مِنِ اسْتِيلَاءِ الْقُوَّةِ الْوَاحِدَةِ لَا سِيَّمَا وَتِلْكَ الْقُوَى التِّسْعَةَ عَشَرَ تَكُونُ فِي أَوَّلِ الْخِلْقَةِ قَوِيَّةً وَيَكُونُ الْعَقْلُ ضَعِيفًا جِدًّا وَهِيَ بَعْدَ قُوَّتِهَا يَعْسُرُ جَعْلُهَا ضَعِيفَةً مَرْجُوحَةً فَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لَزِمَ الْقَطْعُ بِأَنَّ أَكْثَرَ الْخَلْقِ يَكُونُونَ طَالِبِينَ لِهَذِهِ اللَّذَّاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ مُعْرِضِينَ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ وَمَحَبَّتِهِ فَلِهَذَا السَّبَبِ قَالَ :وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ والله أعلم) [1].

السمة الرابعة

اعتماده على مصادر متنوعة في دفع المشكل

بالنظر في مواضع الإشكال الواردة في تفسير الإمام الرازي يظهر لنا تنوع المصادر التي اعتمد عليها في دفع الإشكال، ويمكن سردها على النحو الآتي:

١- **اعتماده على القرآن نفسه:**فالإمام الرازي كثيرًا ما كان يدفع الإشكال عن الآية القرآنية باستخدام آية أخرى ، حيث إن القرآن يفسر بعضه بعضًا ، ومن الأمثلة الدالة على ذلك: في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ﴾ [البقرة: ١٨٧] يقول الإمام الرازي: (وفيه إشكال وَهُوَ أَنَّ بَيَاضَ الصُّبْحِ الْمُشَبَّهَ بِالْخَيْطِ الْأَسْوَدِ هُوَ بَيَاضُ الصُّبْحِ الْكَاذِبُ، لِأَنَّهُ بَيَاضٌ مُسْتَطِيلٌ يُشْبِهُ الْخَيْطَ، فَأَمَّا بَيَاضُ الصُّبْحِ الصَّادِقُ فَهُوَ بَيَاضٌ مُسْتَدِيرٌ فِي الْأُفُقِ فَكَانَ

(١) تفسير الرازي (٢١٦/١٤).

يَلْزَمُ بِمُقْتَضَى هَذِهِ الْآيَةِ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُ النَّهَارِ مِنْ طُلُوعِ الصُّبْحِ الْكَاذِبِ / وَبِالْإِجْمَاعِ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

وَجَوَابُهُ :أَنَّهُ لَوْلَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي آخِرِ هَذِهِ الْآيَةِ :مِنَ الْفَجْرِ لَكَانَ السُّؤَالُ لَازِمًا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَجْرَ إِنَّمَا يُسَمَّى فَجْرًا لِأَنَّهُ يَنْفَجِرُ مِنْهُ النُّورُ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي الصُّبْحِ الثَّانِي لَا فِي الصُّبْحِ الْأَوَّلِ، فَلَمَّا دَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْفَجْرِ، عَلِمْنَا أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ الصُّبْحَ الْكَاذِبَ بَلِ الصُّبْحَ الصَّادِقَ) [١]

فمن هذا المثال يتبين لنا أن الإمام الرازي دفع الإشكال عن الآية باستخدام العبارة القرآنية (من الفجر) حيث إنها قطعت الاحتمال ، ونصت على أن المقصود بالخيط الأبيض الصبح الصادق.

٢- **اعتماده على السنة:** وذلك كما في قوله تعالى:﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ ﴾ [الإسراء: ٩٧] فقد أشكل على البعض كيفية مشي الكافرين على وجوههم يوم القيامة ، وقد دفع الإمام الرازي هذا الإشكال معتمدًا في جوابه الثاني على الحديث الذي رواه الإمام الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: (قيل يا رسول الله وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ قَالَ :إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ) [٢][٣].

٣- **النقل عن الصحابة الكرام:** فالناظر في أجوبة الإمام الرازي عن الإشكالات يجد أنه كثيرًا ما كان ينقل أقوال الصحابة ، وخاصة أقوال سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها: في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ ﴾

(١) تفسير الرازي (٢٧٣/٥)

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠٩/٥) وقال : حديث حسن.

(٣) تفسير الرازي (٤١١/٢١) .

ذكرنا الإشكال المتعلق بسجود سيدنا يعقوب مع أنه أعلى رتبة من سيدنا يوسف، وقد أجاب الإمام الرازي بأجوبة كثيرة ، أولها مروي عن سيدنا عبد الله بن عباس حيث قال: (الوجه الأول: وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ عَطَاءٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُمْ خَرُّوا لَهُ أَيْ لِأَجْلِ وِجْدَانِهِ سَجَدَا للَّه تَعَالَى، وَحَاصِلُ الْكَلَامِ :أَنَّ ذَلِكَ السُّجُودَ كَانَ سُجُودًا لِلشُّكْرِ فَالْمَسْجُودُ لَهُ هُوَ اللَّه، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ السُّجُودَ إِنَّمَا كَانَ لِأَجْلِهِ) [1] وهناك نماذج أخرى يمكن الرجوع إلى مواضعها في الهامش. [2]

٤- **النقل عن التابعين:** وذلك كما في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ [الأعراف: ١١] يقول الإمام الرازي: (في هذه الآية سؤال وَهُوَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ يُفِيدُ أَنَّ الْمُخَاطَبَ بِهَذَا الْخِطَابِ نَحْنُ.

ثُمَّ قَالَ بَعْدَهُ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ ﴾ [الأعراف: ١١] ﴿ ثُمَّ ﴾ تُفِيدُ التَّرَاخِي فَظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِي أَنَّ أَمْرَ الْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ وَقَعَ بَعْدَ خَلْقِنَا وَتَصْوِيرِنَا وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ .

وقد دفع الإمام الرازي هذا الإشكال معتمدا في الجواب الأول على قول الإمام الحسن البصري حيث قال : (إن قوله ولقد خلقناكم أَيْ /خَلَقْنَا أَبَاكُمْ آدَمَ وَصَوَّرْنَاكُمْ أَيْ صَوَّرْنَا آدَمَ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ وَهُوَ الْمُخْتَارُ وَذَلِكَ لِأَنَّ أَمْرَ الْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ تَأَخَّرَ عَنْ خَلْقِ آدَمَ وَتَصْوِيرِهِ وَلَمْ يَتَأَخَّرْ عَنْ خَلْقِنَا وَتَصْوِيرِنَا أَقْصَى مَا فِي الْبَابِ أَنْ يُقَالَ :كَيْفَ يَحْسُنُ جَعْلُ خَلْقِنَا وَتَصْوِيرِنَا كِنَايَةً عَنْ خَلْقِ آدَمَ وَتَصْوِيرِهِ؟ فَنَقُولُ :إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ

(١) تفسير الرازي (٥١٠/١٨).

(٢) تفسير الرازي (٤٥٦/١٢) (٢١٨/١٤).

السَّلَامُ أَصْلُ الْبَشَرِ فَوَجَبَ أَنْ تَحْسُنَ هَذِهِ الْكِنَايَةُ نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ ﴾ [البقرة: ٦٣] أَيْ مِيثَاقَ أَسْلَافِكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُقَالُ :قَتَلَتْ بَنُو أَسَدٍ فُلَانًا وَإِنَّمَا قَتَلَهُ أَحَدُهُمْ) (١)

٥- **النقل عن بعض العلماء من أهل التفسير وغيرهم.** (٢)

٦- **اجتهاده الشخصي:** ففي مواضع كثيرة كان الإمام الرازي يعتمد على اجتهاده الشخصي في إبطال الإشكال ، وهذا الأمر يعرف إما:

أ . من خلال تصريحه بذلك: كما في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴾ [النساء: ٤٧]

حيث يقول الإمام الرازي: (السؤال الثالث: قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ خِطَابُ مُشَافَهَةٍ، وَقَوْلُهُ :أَوْ نَلْعَنَهُمْ خِطَابُ مُغَايَبَةٍ، فَكَيْفَ يَلِيقُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ؟) (٣)

وقد دفع هذا الإشكال بقوله: (الجواب: مِنْهُمْ مَنْ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقَةِ الِالْتِفَاتِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ﴾ [يونس: ٢٢]

---

(١) تفسير الرازي (٢٠٦/١٤) .

(٢) وذلك كالإمام الواحدي (٣٤٢/٥) (٢١٨/١٤) (١٨/ ٤١٨) والإمام الزمخشري (٤٣٤/٦) (٩١/٧) والإمام القفال (٥٢/٢٢) (٣٢٥/٨) والشيخ عبد القاهر الجرجاني (٤٣٤/٦) وغيرهم .

(٣) تفسير الرازي (٩٧/١٠) .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ :هَذَا تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ التَّهْدِيدَ حَاصِلٌ فِي غَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَكْذِبُونَ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِمْ .وَعِنْدِي فِيهِ احْتِمَالٌ آخَرُ :وَهُوَ أَنَّ اللَّعْنَ هُوَ الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ، وَذِكْرُ الْبَعِيدِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْمُغَايَبَةِ، فَلَمَّا لَعَنَهُمْ ذَكَرَهُمْ بِعِبَارَةِ الْغَيْبَةِ)[1]. فقوله (وعندي فيه احتمال آخر) تصريح بأن ذلك يمثل رأيه الخاص به.

– أو من خلال مراجعة أقوال من سبقه وتبين تفرده بهذا الجواب ، وذلك كما في قوله تعالى:﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائـــــدة: ٢٦] حيث يقول الإمام الرازي: (فإن قيل: كيف يعقل بَقَاءُ هَذَا الْجَمْعِ الْعَظِيمِ فِي هَذَا الْقَدْرِ الصَّغِيرِ مِنَ الْمَفَازَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً بِحَيْثُ لَا يَتَّفِقُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَجِدَ طَرِيقًا إِلَى الْخُرُوجِ عَنْهَا، وَلَوْ أَنَّهُمْ وَضَعُوا أَعْيُنَهُمْ عَلَى حَرَكَةِ الشَّمْسِ أَوِ الْكَوَاكِبِ لَخَرَجُوا مِنْهَا وَلَوْ كَانُوا فِي الْبَحْرِ الْعَظِيمِ، فَكَيْفَ فِي الْمَفَازَةِ الصَّغِيرَةِ؟

قُلْنَا :فِيهِ وَجْهَانِ :الْأَوَّلُ :أَنَّ انْخِرَاقَ الْعَادَاتِ فِي زَمَانِ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرُ مُسْتَبْعَدٍ، إِذْ لَوْ فَتَحْنَا بَابَ الِاسْتِبْعَادِ لَزِمَ الطَّعْنُ فِي جَمِيعِ الْمُعْجِزَاتِ، وَإِنَّهُ بَاطِلٌ .الثَّانِي :إِذَا فَسَّرْنَا ذَلِكَ التَّحْرِيمَ بِتَحْرِيمِ التَّعَبُّدِ فَقَدْ زَالَ السُّؤَالُ لِاحْتِمَالِ أَنَّ اللَّه تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الرُّجُوعَ إِلَى أَوْطَانِهِمْ، بَلْ أَمَرَهُمْ بِالْمُكْثِ فِي تِلْكَ الْمَفَازَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَعَ الْمَشَقَّةِ وَالْمِحْنَةِ جَزَاءً لَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فَقَدْ زَالَ الإشكال) [2]

فبمراجعة أقوال السابقين للإمام الرازي– وذلك قدر الاستطاعة – تبين انفراد الإمام الرازي بهذه الأوجه الدافعة للإشكال .

تنبيه

تنبغي الإشارة إلى أن الإمام الرازي وإن كان يصرح بمصادره في دفع الإشكال إلا أنه في كثير من المواضع يعرض أوجه الحل دون أن يذكر

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢) تفسير الرازي (٣٣٦/١١).

مصادره ، وقد يبدو للوهلة الأولى أن هذه الأوجه تمثل اجتهاده الخاص إلا أنه بالنظر والتأمل يظهر أنها ليست جميعها من بنات أفكاره ، وإنما هي في الأغلب منقولة عن مصادر أخرى ، والدليل على ذلك ما يقوم به الإمام الرازي من تعقبات ونقد لبعض هذه الأوجه، فهذا يدل على أنها ليست له ، وإلا فلن ينقد الإنسان اجتهاده والرأي الذي توصل إليه. (١)

هذا وقد ترد عن الإمام الرازي بعض العبارات التي تشير إلى أن تلك الأوجه منقولة ، ومن ذلك قوله في حل بعض المشكلات: (الجواب: أحسن ما قيل فيه .....) (٢).

كما أنه مما يلفت الانتباه أن الإمام الرازي في بعض المواضع يصرح بأنه هو من يقوم بنفسه بدفع الإشكال ، وهذا التصريح لا معنى له إلا أنه إشارة إلى أن المواضع التي لا يصرح فيها بمصادره إنما تكون في الغالب منقولة عن غيره ،وهذا ما تأكد لنا بالفعل حيث إنه بتتبع بعض المواضع التي لم يصرح فيها الإمام الرازي وجدناها في كتب من سبقوه ، ومن ذلك: في تفسير قوله تعالى:﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا ﴾ [الأنبياء: ٣٠] يقول الإمام الرازي: (لقائل أن يقول : الْمُرَادُ مِنَ الرُّؤْيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ ، إِمَّا الرُّؤْيَةُ، وَإِمَّا الْعِلْمُ وَالْأَوَّلُ مُشْكِلٌ، أَمَّا أَوَّلًا فَلِأَنَّ الْقَوْمَ مَا رَأَوْهُمَا كَذَلِكَ الْبَتَّةَ، وَأَمَا ثَانِيًا فَلِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :﴿ * مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الكهف: ٥١] ، وَأَمَّا الْعِلْمُ فَمُشْكِلٌ لِأَنَّ الْأَجْسَامَ قَابِلَةٌ لِلْفَتْقِ وَالرَّتْقِ فِي أَنْفُسِهَا، فَالْحُكْمُ عَلَيْهَا

(١) سأورد – إن شاء الله – بعض الأمثلة لهذه التعقبات عند الحديث عن السمة الخامسة ..

(٢) تفسير الرازي (٥١٨/١٨).

بِالرَّتْقِ أَوَّلًا وَبِالْفَتْقِ ثَانِيًا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِلَّا السَّمْعُ، وَالْمُنَاظَرَةُ مَعَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الرِّسَالَةَ، فَكَيْفَ يَجُوزُ التَّمَسُّكُ بِمِثْلِ هَذَا الِاسْتِدْلَالِ)[1].

وقد دفع الإمام الرازي هذا الإشكال بقوله: (والجواب: الْمُرَادُ مِنَ الرُّؤْيَةِ هُوَ الْعِلْمُ وَمَا ذكروه من السُّؤَالِ فَدْفُعُهُ مِنْ وُجُوهٍ :أَحَدُهَا :أَنَّا نُثْبِتُ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَائِرِ الْمُعْجِزَاتِ ثُمَّ نَسْتَدِلُّ بِقَوْلِهِ ثُمَّ نَجْعَلُهُ دَلِيلًا على حصول النظام في العالم وانتقاء الْفَسَادِ عَنْهُ وَذَلِكَ يُؤَكِّدُ الدَّلَالَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي التَّوْحِيدِ .وَثَانِيًا :أَنْ يُحْمَلَ الرَّتْقُ وَالْفَتْقُ عَلَى إِمْكَانِ الرَّتْقِ وَالْفَتْقِ وَالْعَقْلُ، يَدُلُّ عَلَيْهِ لِأَنَّ الْأَجْسَامَ يَصِحُّ عَلَيْهَا الِاجْتِمَاعُ وَالِافْتِرَاقُ فَاخْتِصَاصُهَا بِالِاجْتِمَاعِ دُونَ الِافْتِرَاقِ أَوْ بِالْعَكْسِ يَسْتَدْعِي مُخَصِّصًا .وَثَالِثُهَا :أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى كَانُوا عَالِمِينَ بِذَلِكَ فَإِنَّهُ جَاءَ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ اللَّه تَعَالَى خَلَقَ جَوْهَرَةً، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِ الْهَيْبَةِ فَصَارَتْ ماء، ثم خلق السموات والأرض منها وفتق بينهما، وَكَانَ بَيْنَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَبَيْنَ الْيَهُودِ نَوْعُ صَدَاقَةٍ بِسَبَبِ الِاشْتِرَاكِ فِي عَدَاوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَاحْتَجَّ اللَّه تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْحُجَّةِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُمْ يَقْبَلُونَ قَوْلَ الْيَهُودِ فِي ذَلِكَ) [2]

بالنظر فيما سبق يظهر أن الإمام الرازي أجاب عن الإشكال بثلاثة أوجه، ولم يصرح فيها بمصدره ، إلا أنه بالنظر في كتب المتقدمين يتبين لنا أن الجواب الأول والثاني منقولان عن الإمام الزمخشري حيث يقول في كشافه: (فإن قلت: متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك؟ قلت :فيه وجهان، أحدهما :أنه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه، فقام مقام المرئىّ المشاهد .والثاني :أن تلاصق الأرض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل، فلا بدّ للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه.) [3]

(١) تفسير الرازي (١٣٦/٢٢) .
(٢) تفسير الرازي (١٣٧/٢٢)
(٣) الكشاف للزخشري (١١٣/٣).

ومن ذلك أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ ﴾ [الأنعام: ٣٨]

يقول الإمام الرازي: (السؤال الثالث: مَا الْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ؟ مَعَ أَنَّ كُلَّ طَائِرٍ إِنَّمَا يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ.

وَالْجَوَابُ فِيهِ مِنْ وُجُوهٍ :الْأَوَّلُ :أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ إِنَّمَا ذُكِرَ لِلتَّأْكِيدِ كَقَوْلِهِ نَعْجَةٌ أُنْثَى وَكَمَا يُقَالُ :كَلَّمْتُهُ بِفِيَّ وَمَشَيْتُ إِلَيْهِ بِرِجْلَيَّ .الثَّانِي :أَنَّهُ قَدْ يَقُولُ الرَّجُلُ لِعَبْدِهِ طِرْ فِي حَاجَتِي وَالْمُرَادُ الْإِسْرَاعُ وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ :فَقَدْ يَحْصُلُ الطَّيَرَانُ لَا بِالْجَنَاحِ). [١]

فهذا الجواب الذي أورده الإمام الرازي إنما هو تفصيل لما ذكره الإمام ابن عطية في تفسيره حيث قال: (وقوله: ﴿ بِجَنَاحَيۡهِ ﴾ تأكيد وبيان وإزالة للاستعارة المتعاهدة في هذه اللفظة فقد يقال« طائر »السعد والنحس.

وقوله تعالى:﴿ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ ﴾ أي عمله، ويقال « :طار لفلان طائر» كذا أي سهمه في المقتسمات، فقوله تعالى: ﴿ بِجَنَاحَيۡهِ ﴾ إخراج للطائر عن هذا كله). [٢]

السمة الخامسة

نقده لأوجه الحل التي يوردها واختيار أنسبها وأقواها في دفع الإشكال

إذا تتبعنا مواضع الإشكال التي أوردها الإمام الرازي نجد أنه لا يكتفي بعرض أوجه الحل بل إنه يناقشها ويمحصها ليختار أقواها في إزالة الإشكال، ومن أبرز الأمثلة الدالة على ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١٠٩] فقد طرح الإمام الرازي إشكالًا حول قوله تعالى حكاية عن

(١) تفسير الرازي (٥٢٤/١٢) .

(٢) المحرر الوجيز (٢٩٠/٢).

الرسل: ﴿ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ حيث قال: (ظاهر قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يَشْهَدُونَ لِأُمَمِهِمْ .وَالْجَمْعُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلُهُ تَعَالَى :﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ [النساء: ٤١] مُشْكِلٌ .وَأَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣] فَإِذَا كَانَتْ أُمَّتُنَا تَشْهَدُ لِسَائِرِ النَّاسِ فَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَى بِأَنْ يَشْهَدُوا لِأُمَمِهِمْ بِذَلِكَ) [(١)] ثم بدا الإمام الرازي في عرض الأجوبة الدافعة لهذا الإشكال، وقام بنقدها وتحليلها واختيار أقواها.

أما الوجه الأول: فقد نقله عن جمع من المفسرين الذين قاموا بالجمع بين الآيات بمراعاة اختلاف الظروف والأحوال، حيث قالوا: (إن للقيامة زلازل وَأَهْوَالًا بِحَيْثُ /تَزُولُ الْقُلُوبُ عَنْ مَوَاضِعِهَا عِنْدَ مُشَاهَدَتِهَا .فَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَ مُشَاهَدَةِ تِلْكَ الْأَهْوَالِ يَنْسَوْنَ أَكْثَرَ الْأُمُورِ، فَهُنَالِكَ يَقُولُونَ لَا عِلْمَ لَنَا، فَإِذَا عَادَتْ قُلُوبُهُمْ إِلَيْهِمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَشْهَدُونَ لِلْأُمَمِ) [(٢)] إلا أن الإمام الرازي لم يرتض هذا الجواب وحكم بضعفه ، ثم بين حيثية الضعف بأن أهل الثواب وخاصة الأنبياء يكونون يوم القيامة في حالة من الثبات والأمان، فلا يهتزون لما يحدث من الزلازل والشدائد، يقول الإمام الرازي مبينا وجه ضعف الجواب الأول: (وهذا الجواب وإن ذهب إِلَيْهِ جَمْعٌ عَظِيمٌ مِنَ الْأَكَابِرِ فَهُوَ عِنْدِي ضَعِيفٌ، لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي صِفَةِ أَهْلِ الثَّوَابِ﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] وَقَالَ أَيْضًا:﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۝٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ۝٣٩ ﴾ [عبس: ٣٨ – ٣٩] بَلْ إِنَّهُ تَعَالَى قَالَ:﴿ إِنَّ

(١) تفسير الرازي (١٢/٤٥٦– ٤٥٧) .

(٢) المرجع السابق (١٢/٤٥٧) .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢] فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَوْ خَافُوا لَكَانُوا أَقَلَّ مَنْزِلَةً مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَخْبَرَ اللَّه تَعَالَى عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَخَافُونَ الْبَتَّةَ) (١)

ثم عرض الإمام الرازي الجواب الثاني فقال: (والوجه الثاني أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ الْمُبَالَغَةُ فِي تَحْقِيقِ فَضِيحَتِهِمْ كَمَنْ يَقُولُ لِغَيْرِهِ مَا تَقُولُ فِي فُلَانٍ؟ فَيَقُولُ : أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، كَأَنَّهُ قِيلَ :لَا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الشَّهَادَةِ لِظُهُورِهِ) (٢)وقد عقب الإمام الرازي على هذا الجواب أيضا وحكم بعدم قوته ، وذلك لأنه غير مطرد حيث إنه إنما يصلح فقط في حق الكافرين ومعلوم أن السؤال كان عن الكافرين وغيرهم. يقول الإمام الرازي مضعفا هذا الوجه: (وهذا أيضًا ليس بقوي لِأَنَّ السُّؤَالَ إِنَّمَا وَقَعَ عَنْ كُلِّ الْأُمَّةِ وَكُلُّ الْأُمَّةِ مَا كَانُوا كَافِرِينَ حَتَّى تُرِيدَ الرُّسُلُ بِالنَّفْيِ تَبْكِيتَهُمْ وَفَضِيحَتَهُمْ) (٣) ثم جاء الجواب الثالث ، وهو الجواب الذي ارتضاه الإمام الرازي فقال: (والوجه الثالث في الجواب وَهُوَ الْأَصَحُّ وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُمْ إِنَّمَا قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا لِأَنَّكَ تَعْلَمُ مَا أَظْهَرُوا وَمَا أَضْمَرُوا وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ إِلَّا مَا أَظْهَرُوا فَعِلْمُكَ فِيهِمْ أَنْفَذُ مِنْ عِلْمِنَا .فَلِهَذَا الْمَعْنَى نَفَوُا الْعِلْمَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ لِأَنَّ عِلْمَهُمْ عِنْدَ اللَّه كَلَا عِلْمٍ) (٤) وأنت ترى أن هذا الوجه هو الأليق بدفع الإشكال حيث إن فيه جمعا بين الآيات بطريقة سليمة ، فالأنبياء لم ينفوا عن أنفسهم العلم الكامل بأحوال أممهم، وإنما نفوا علمهم بأمور الباطن التي لا يعلمها إلا الحق سبحانه وتعالى.

(١) تفسير الرازي (٤٥٧/١٢)

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٣) تفسير الرازي (٤٥٧/١٢)

(٤) تفسير الرازي (٤٥٧/١٢)

ومن خلال هذا العرض يتبين لنا منهج الإمام الرازي في التعامل مع أوجه دفع الإشكال ، وكيف أنه لم يكن ناقلًا فقط بل كان يناقش وينقد ويختار أنسب الأقوال وأصحها في إزالة الإشكال .

هذا وهناك العديد من الأمثلة الأخرى التي يظهر فيها نقد الإمام الرازي لأوجه دفع الإشكال ، ويمكنك الرجوع إلى مواضعها في الهامش [١].

السمة السادسة

الإحالة على الموضع السابق في حال تكرر الإشكال

وذلك كالإشكال الذي طرحه الإمام الرازي حول قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١]

حيث قال: (السؤال الثاني مَا الْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَتْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَكُونُ إِلَّا كَذَلِكَ؟) [٢] فقد أحال الإمام الرازي في الجواب عنه على الموضع الأول الذي ورد في سورة البقرة، فقال: (والجواب: ذكرنا وجوه ذلك في سورة البقرة) [٣] ويقصد بموضع البقرة قوله تعالى:﴿ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٦١] وفيه يقول الإمام الرازي: (السؤال الثاني لِمَ قَالَ :بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَتْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ؟ الْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الْأَوَّلُ :أَنَّ الْإِتْيَانَ بِالْبَاطِلِ قَدْ يَكُونُ حَقًّا لِأَنَّ الْآتِيَ بِهِ اعْتَقَدَهُ حَقًّا لِشُبْهَةٍ وَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ وَقَدْ يَأْتِي بِهِ مَعَ عِلْمِهِ بِكَوْنِهِ بَاطِلًا، وَلَا شَكَّ أَنَّ الثَّانِيَ أَقْبَحُ فَقَوْلُهُ :وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ أَيْ أَنَّهُمْ قَتَلُوهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ كان ذَلِكَ الْقَتْلُ

(١) راجع تفسير الرازي (٦/٣٨٠) (١٢/٤٠٠) (١٤/٢١٨-٢١٩).

(٢) تفسير الرازي (٧/١٧٧)

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة .

حَقًّا فِي اعْتِقَادِهِمْ وَخَيَالِهِمْ بَلْ كَانُوا عَالِمِينَ بِقُبْحِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ فَعَلُوهُ .وَثَانِيهَا : أَنَّ هَذَا التَّكْرِيرَ لِأَجْلِ التَّأْكِيدِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى :﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ ﴾ [المؤمنون: ١١٧]

وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لِمُدَّعِي الْإِلَهِ الثَّانِي بُرْهَانٌ .وَثَالِثُهَا :أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَوْ ذَمَّهُمْ عَلَى مُجَرَّدِ الْقَتْلِ لَقَالُوا :أَلَيْسَ أَنَّ اللَّهَ يَقْتُلُهُمْ وَلَكِنَّهُ تَعَالَى قَالَ :الْقَتْلُ الصَّادِرُ مِنَ اللَّهِ قَتْلٌ بِحَقٍّ وَمِنْ غَيْرِ اللَّهِ قَتْلٌ بِغَيْرِ حَقٍّ) (١) .

السمة السابعة

تأخير عرض الإشكال عن موضعه الأول لكثرة التفاصيل في موضعه اللاحق

وذلك كالإشكال الذي طرحه الإمام الرازي حول قوله تعالى: في سورة الأعراف حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام:﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى ﴾ [الأعراف: ١٥٠] حيث قال: (وفي هذا الموضع سؤال لِمَنْ يَقْدَحُ فِي عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ذَكَرْنَاهُ فِي سُورَةِ طه مَعَ الْجَوَابِ الصَّحِيحِ) (٢)

فهنا نلحظ أن الإمام الرازي لم يفصل الكلام عن هذا الإشكال ، وذلك نظرا لوروده في سورة طه بشكل أوسع مع تفاصيل جديدة تستلزم ردودًا مطولة ، وهذا ما فعله الإمام الرازي عند تفسير قوله تعالى في سورة طه:﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾ [طه: ٩٢ – ٩٤] فقد عرض الإشكال بكافة أوجهه ثم جاء بالجواب مفصلاً. (٣)

(١) تفسير الرازي (٣/٥٣٤-٥٣٥) .

(٢) تفسير الرازي (١٥/٣٨٤).

(٣) راجع تفسير الرازي(٢٢/٩٢-٩٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه يصل المرء إلى أسمى الغايات، وبعد :

ففي ختام هذه الدراسة أود أن أشير إلى أبرز النتائج التي ظهرت لي من خلال هذا البحث، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

١. ظهر من خلال البحث مدى العناية الواضحة التي أولاها الإمام الرازي لقضية مشكل القرآن، وذلك من خلال طرحه للعديد والعديد من الإشكالات والأسئلة المحيرة وقيامه بالجواب عنها، إضافة إلى تعامله مع كافة أنواع المشكل واستخدامه للعديد من الأدوات في دفعه وإبطاله .

٢. يتسع مفهوم المشكل عند الإمام الرازي حيث إنه يتناول كل ما يلتبس على المتأمل لفظه أو معناه لذاته أو لأمر خارج عنه، ولا ينال المراد منه إلا بتأمل بعد الطلب.

٣. تتنوع عبارات الإمام الرازي في التعبير عن المشكل فتارة يستعمل صيغًا صريحة تتضمن لفظة المشكل أو إحدى مشتقاته، وتارة يستعمل صيغًا غير صريحة إلا أنها تدل بمعناها والقرائن التي تحفها على وجود التباس في فهم الآية.

٤. تتعدد أنواع المشكل عند الإمام الرازي تبعًا لعدة اعتبارات غير أن أوسعها ما كان باعتبار الموضوع ، حيث إنه يتناول صورًا عديدة منها: موهم التعارض ، والمشكل المتعلق بأسلوب القرآن ، والمشكل اللغوي ، وما كان إشكاله راجعاً إلى خفاء المعنى أو توهم فساده ، والمشكل المتعلق بالتشابه اللفظي وغيرها.

٥. في ضوء مواضع الإشكال الواردة في تفسير الإمام الرازي لاحظنا تعدد الأسباب التي أدت إلى حصول الحيرة والالتباس ، ولعل أبرز هذه الأسباب يرجع إلى توهم التعارض بين الآيات مع بعضها أو مع غيرها، كما أن هناك أسبابًا أخرى، ومنها: عدم إدراك حكم التكرار وأسراره ، وتوهم تفكك النظم وعدم انسجام جمله ، وعدم إدراك الوجه الإعرابي الذي

يمكن حمل الآية عليه ، إضافه إلى غرابة اللفظ وخفاء الحكمة من استخدام بعض الأساليب اللغوية .

٦. بالنظر في الأوجه التي أوردها الإمام الرازي في دفع المشكل تبين لنا أن من أبرز الأدوات التي اعتمد عليها الإمام الرازي الجمع بين ما يوهم ظاهره التعارض ، ولعل السر في ذلك يرجع إلى تعدد صور موهم التعارض ، ومن هنا أولاه الإمام الرازي عناية كبيرة ، واعتمد فكرة الجمع والتوفيق لحل الإشكالات سواء كان الجمع ببيان اختلاف الموضوع أو ببيان تنوع الاعتبارات أو الجمع بالنظر إلى وقوع المخبر به على أطوار مختلفة.

٧. كذلك من أهم ما استخدمه الإمام الرازي في حل المشكل اعتماده على اللغة، وقد تنوعت الأدوات اللغوية التي استعملها، ومنها الحمل على المجاز بنوعيه اللغوي والعقلي، والحل باستعمال أسلوب الكناية ، وأيضًا دفع الإشكال ببيان التوجيه الإعرابي أو البلاغي للآية القرآنية ، إضافة إلى استخدام أساليب الاحتراس والتضمين وغيرها.

٨. يعتبر السياق من أهم الوسائل التي استخدمها الإمام الرازي في دفع الكثير من الإشكالات وقد اتخذ ذلك عدة صور، لعل أبرزها الاعتماد عليه في دفع الإشكال الناشئ عن عدم إدراك أسرار التشابه اللفظي، وأيضًا الاعتماد عليه في بيان أسرار الألفاظ التي يتوهم عدم فائدتها .

٩. اتضح من خلال البحث أن هناك العديد من الأدوات الأخرى التي استعملها الإمام الرازي في دفع المشكل، ومنها الاعتماد على أسباب النزول، وجمع الآيات ذات الموضوع الواحد، وإبراز فائدة الألفاظ التي يتوهم زيادتها وغيرها .

١٠. بالتتبع لأسلوب الإمام الرازي في عرض الإشكال ودفعه وجدنا أنه يتبع طريقة واضحة ومحددة يورد فيها الإشكال بشكل سهل ومرتب ترتيبًا منطقيًا، حيث إنه بعد عرض الآية محل الإشكال نجده ينص على وجود

الإشكال مستعملاً صيغاً صريحة وأحيانًا غير صريحة، ثم يقرر وجه الإشكال، ثم يقوم بدفعه معتمدًا على وجه واحد أو أكثر.

١١. بالنظر في مواضع الإشكال الواردة في تفسير الإمام الرازي تبين لنا مدى إلمام الإمام الرازي الواسع بكافة الأسئلة المشكلة المتعلقة بالآية، وقد ظهر ذلك من خلال تعدد الإشكالات التي يوردها في نفس الآية واستيفائه لأوجهها، إضافة إلى تدعيم وجه الإشكال بذكر الشاهد والمثال.

١٢. في ضوء تعامل الإمام الرازي مع الإشكال وجدنا منه اهتماما واضحًا بدفعه وإبطاله من كل وجه ، وقد شهد لذلك عدة أمور منها: تعدد أوجه الحل ، وتنوعها، إضافة إلى سرد أوجه الإشكال والعود عليها بالحل وجهًا وجهًا، وتكميل بعض أوجه الحل وتدعيمها بذكر الشاهد والمثال.

١٣. تبين لنا من خلال البحث تنوع المصادر التي اعتمد عليها الإمام الرازي في دفع الإشكال ومنها اعتماده على القرآن والسنة ، والنقل عن الصحابة والتابعين والعلماء السابقين إضافة الى اجتهاده الشخصي.

١٤. ظهر لنا من خلال أوجه الحل التي أوردها الإمام الرازي أن هذه الأوجه ليست جميعها من بنات أفكاره وإنما هي في الأغلب منقولة عن مصادر أخرى، والدليل على ذلك نقده لها وتعقيبه عليها، إضافة إلى ورود تلك الأوجه في تفاسير سابقة على تفسير الإمام الرازي.

١٥. من سمات أسلوب الإمام الرازي في تعامله مع المشكل أنه كان يحيل على الموضع السابق في حال تكرر الإشكال .

١٦. كذلك من السمات التي لوحظت في تعامل الإمام الرازي مع المشكل أنه كان يؤخر عرض الإشكال عن موضعه الأول، وذلك لكثرة التفاصيل الواردة في موضعه اللاحق.

والله ولي التوفيق

المراجع :

١- القرآن الكريم

١. إنباه الرواة علي أنباء النحاة للقفطي (١٢٧/١-١٣٠) ط دار الفكر العربي – القاهرة . ط الأولي ١٤٠٦ هـ .

٢. أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي (٢٦٩/٥ -٢٧٠) ط دار الفكر المعاصر بيروت ١٩٩٨م .

٣. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٨٨/٣) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤م

٤. الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن الكريم " عرض ودراسة " ت د/ أحمد القصير (ص٢٥) ط دار ابن الجوزي ١٤٣٠ هـ .

٥. الإمام في بيان أدلة الأحكام للغريب عبد السلام ص ١٥٩ ط دار البشائر الإسلامية – بيروت .

٦. إيضاح المحصول من برهان الأول للمازري ص٣٢٢ ط دار الغرب الإسلامي – تونس ط الأولي ، ١٤٢١هـ.

٧. البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (١٢٠/٨) ط دار الكتبي . ط الأولي ١٤١٤ هـ .

٨. البرهان في متشابه القرآن الكريم للكرماني ص٦٤ دار الفضيلة .

٩. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم الباغة . ت / عبد المتعال الصعيدي (٣٥٥/٢) ط مكتبة الآداب ١٤٢٦هـ .

١٠. البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفي أمين (ص١٢٣- ١٢٤) ط مكتبة الآداب – القاهرة . ط الأولي .

١١. تاج العروس للزبيدي (٢٧٦/٢٩) ط وزراة الإرشاد والأنباء في الكويت .

١٢. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص١١٦) ط مكتبة دار التراث .

١٣. تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان الأندلسي (ص٤٠) ط المكتب الإسلامي .

١٤.التعارض والترجيح للحفناوي ص٢٥٩ ، ط دار الوفاء ، شط الثانية ١٤٠٨هـ.
١٥.التعريفات للجرجاني ص٢١٥ ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط الأولي ، ١٩٨٣م
١٦.تفسير ابن كثير (٩٦٥/٢) ط دار الفكر ط الأولي ، ١٤٢٠م .
١٧.تفسير الآلوسي (٣٧٦/٣) ط دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولي ، ١٤١٥هـ .
١٨.تفسير الرازي (٤٥٦/١٢) ط دار إحياء التراث العربي – بيروت ط الثالثة ١٤٢٠هـ .
١٩.تفسير الطبري (٣٤٥/٦) تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ط دار هجر . ط الأولي ١٤٢٢هـ.
٢٠.تفسير القرطبي (٢٢٢/٢) ط دار الحديث – القاهرة ، ٢٠٠٢ م .
٢١.التفسير والمفسرون للشيخ الذهبي (٢٠٨/١-٢١٠) ط مكتبة وهبة القاهرة،
٢٢.مناهج المفسرين للدكتور / منيع عبد الحليم محمود (ص١٤٨-١٤٩) ط دار الكتاب المصري – القاهرة .
٢٣.توجيه مشكل القراءات العشرية ت د / عبد العزيز الحربي ص٨٩ جامعة أم القري ١٤١٧هـ
٢٤.دفع إبهام الاضطراب عن أي الكتاب ص٣٢٤ ط دار عالم الفوائد ط الاولي ١٤٢٦هـ .
٢٥.دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسي – عليه السلام ص ٢٦-٢٧ رسالة ماجستير للباحث / فهد بن شتوي ، جامعة أم القري . الرقمي الجامعي / ٠٤٢٣٨٠٢٩٧ .
٢٦.الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري (١٥١/٢)ط مؤسسة الرسالة – بيروت ط الأولي ١٩٩٢م .

٢٧.معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢٨٢/١١) ط مكتبة المتنبي – بيروت ١٤٣١هـ.
٢٨.سنن الترمذي تحقيق إبراهيم عطوة .ط مصطفي الباب الحلبي – مصر . ط الثانية ١٣٩٥هـ.
٢٩.صحيح البخاري. تحقيق د/ مصطفي البغا . ط دار ابن كثير – دمشق ط الخامسة ، ١٩٩٣م
٣٠.صحيح مسلم ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي .ط دار إحياء التراث العربي ١٩٥٥ م .
٣١.الصرف الكافي لأيمن عبد الغني (ص٧) ط دار ابن خلدون – الاسكندرية.
٣٢.طبقات الشافعية الكبري لتقي الدين السبكي (٨١/٨-٨٢) ط دار هجر . ط الثانية ١٤١٣هـ.
٣٣.طبقات المفسرين للداوودي ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط الأولي،
٣٤.طبقات المفسرين للسيوطي ط مكتبة وهبة – القاهرة ط الأولي ١٣٩٦ هـ،
٣٥.فوائد في مشكل القرآن للعز بن عبد السلام (١٣٨-١٣٩) ط دار الشروق – جدة ط الثانية ١٤٠٢ هـ.
٣٦.القراءات الشاذة لعبد العلي المسئول (ص١٦٢) ، ط دار ابن القيم .
٣٧.القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ت د / محمد الحبش (ص١٢١) ، ط دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان.
٣٨.الكشاف للزمخشري (٤٦٢/١) ط دار الكتاب العربي – بيروت ط الثالث.
٣٩.لسان العرب لابن منظور (٣٥٦/١١) ط دار صادر – بيروت .
٤٠.المتشابه اللفظي في القرآن الكريم . ت / صالح الشثري (ص٨) ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٣١هـ .
٤١.مجموع الفتاوي لابن تيمية (٣٠٧/١٧)ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة . ١٤٢٥ هـ.

٤٢.المحرر الوجيز لابن عطية (٥/٢) ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ط الأولي ١٤٢٢هـ .
٤٣.مسند أبي يعلي . ط دار المأمون للتراث – دمشق ١٤٠٤هـ.
٤٤.مشكل القرآن الكريم ت د/ عبد الله بن حمد المنصور (ص٧٧) ط دار ابن الجوزي ط الأولي ١٤٢٦هـ.
٤٥.مشكل القرآن الكريم في تفسير بن عاشور ت د/ علي السكاكر (ص٨٤) ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ٢٠١٦م .
٤٦.معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (٧٣/١) ط دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٩٨٨م
٤٧.معجم البلدان لياقوت الحموي (١٣/٤-١٦) ط دار صادر بيروت . ط الثانية ١٩٩٥م .
٤٨.معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢٠٤/٣) ط دار الفكر ١٩٧٩م.
٤٩.مقدمة كتاب المباني لنظم المعاني . ت أبي محمد حامد بن أحمد بن جعفر (ت ٤٢٥هـ) تحقيق آرثر جفري ط مكتبة الجانجي – القاهرة .
٥٠.المهذب في أصول الفقه . ت /د / عبد الكريم النملة (ص٢٤١٢ – ٢٤١٣) ط مكتبة الرشد – الرياض – ط الأولي ، ١٤٢٠هـ.
٥١.النحو الوافي . ت / د/ عباس حسن (٧٤/١-٧٥) ط دار المعارف – القاهرة .
٥٢.النكت في إعجاز القرآن للرماني (ص٧٦) مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن .ط دار المعارف –مصر . ط الثالثة – ١٩٧٦م.
٥٣.والوافي بالوفيات للصفدي (١٧٥/٤-١٨٢) ط دار إحياء التراث بيروت،
٥٤.المسائل الأصولية المتعلقة بمباحث الألفاظ التي اختلف فيها الإمامان الرازي في (المحصول) والآمدي في (الإحكام) جمعا ودراسة. رسالة ماجستير للدكتورة / عبير أحمد فاضل ، جامعة القري . كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م .
٥٥.وفيات الأعيان لابن خلكان ط دار صادر – بيروت